





السدو والحياكة التقليدية
في المملكة العربية السعودية

تأليف
د. دليل بنت مطلق بن شافي القحطاني

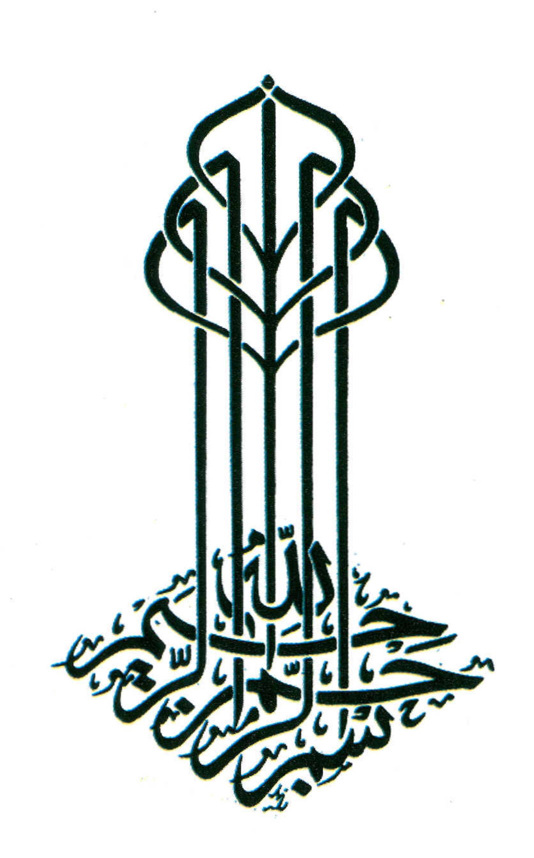
الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م

المملكة العربية السعودية
وزارة التربية والتعليم
وكالة الآثار والمتاحف

السدو والحياكة التقليدية في المملكة العربية السعودية

دراسة تراثية فنية

تأليف
د. دليل بنت مطلق بن شافي القحطاني


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى زوجي العزيز وبناتي

إلى جميع إخوتي

إلى كل مهتم بتراث بلادنا وحضارتها

أهدي هذا العمل

قائمة المحتويات

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

قائمة الأشكال

الموضوع	الصفحة

شكر وتقدير

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد؛

يطيب لي وقد اكتملت هذه الدراسة أن أشكر ذوي الفضل بعد الله على ما قدموه من إرشادات قيمة وتوجيه ونصيحة، أبدأها **بزوجي الكريم العميد / خالد بن نشاط القحطاني** المرافق لي حين جمع المادة ميدانياً، والذي أحاطني بالرعاية والتشجيع طوال مراحل العمل، كما أشكر **بناتي العزيزات** على ما قدمنه لي من عون خلال إعداد هذه الدراسة. وكذلك الشكر **لشقيقاتي** اللاتي لم ينقطع سيل دعمهن لي منذ بداية هذه الدراسة.

وأتقدم بالشكر إلى **جامعة الملك سعود** ممثلة في قسم الآثار والمتاحف بكلية الآداب وعمادة كلية الدراسات العليا لمنحي الفرصة لإعداد هذه الدراسة. وأخص بالشكر الأستاذ الدكتور **/ العباس سيد أحمد محمد علي** والدكتور **/ عبد الله بن إبراهيم العمير** اللذان أشرفا على هذه الدراسة و بذلا من وقتهما وجهدهما الكثير، وتعهداني بالملاحظة والتوجيه مما كان له أكبر الأثر في إخراج هذه الدراسة. كما أشكر الرئيس السابق لقسم الآثار والمتاحف الأستاذ الدكتور **/ خليل بن إبراهيم المعيقل**.

والشكر للأستاذ الدكتور / **سعد بن عبد العزيز الراشد** وكيل وزارة التربية والتعليم للآثار والمتاحف سابقاً على ما قدمه لي من عون بتوجيه العاملين في المتحف الوطني بتسهيل مهمتي البحثية فيما تتطلبه الدراسة وعلى رأسهم الدكتور عبد الله بن سعود السعود مدير عام المتحف الوطني. والشكر موصول **لجميع الزملاء في المتحف الوطني وجميع منسوبات القسم النسوي بالمتحف الوطني** على دعمهم المعنوي كما أشكر الدكتور علي بن صالح المغنم وكيل وزارة التربية والتعليم للآثار والمتاحف على ما قدمه لي من عون وتشجيع ولمركز الأبحاث والتقنيات الأثرية على متابعتهم داخل طباعة هذا البحث.

ولا يفوتني أن أقدم خالص شكري لمقام وزارة التربية والتعليم على تفضلها بطباعة هذه الرسالة.

والحمد والشكر لله من قبل ومن بعد ،،

الباحثة

ملخص الدراسة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد لمرسلين نبينا محمد وعلى اله وصحبة والتابعين، وبعد :

يطيب لي وأنا أتقدم بهذه الدراسة أن أوجز سبب اختياري لهذا الموضوع بحكم كونه موضوعاً تراثياً شغل ولا زال يشغل جانباً من حياة مجتمعاتنا البدوية.وهو شأن كل الموضوعات التراثية ، يتعرض لهجمة المستجدات الحضارية التي تؤدي به إلى الاندثار .وبما أنه نتج عن تكيف الإنسان في بيئة هذا الوطن فهو أمر جدير بالدراسة والتوثيق قبل أن تجرفه تيارات التحديث إضافة إلى أن هذا الموضوع تحديداً لم تطرقه الدراسات التراثية في المملكة ، إزاء ذلك قمت بدراسة ميدانية لجمع المادة والحديث إلى من يزاولونها في أماكن إقامتهم.

غير ذلك لم يكن بالأمر السهل فقد جابهتني بعض الصعوبات منها :

١. أن المادة موزعة على أجزاء المملكة ومتباعدة تحملها مجتمعات غير مستقرة يصعب الوصول إليها أحيانا.

٢. صعوبة اختراق المجتمع البدوي بحكم كونه مجتمعاً مغلقاً ورفض بعض الناسجات إعطاء بعض المعلومات وتذمرهن من استخدام آلة التصوير.

وبحمد الله فقد تغلبت على هذه العقبات قدر الإمكان وتيسر لي القيام بالدراسة الميدانية .

وخلصت من ذلك إلى دراسة تضمنت **مقدمة وخمسة فصول وخاتمة**.

اشتملت **المقدمة على عرض موجز لموضوع الدراسة**.

و تناول **الفصل الأول الإطار الجغرافي والتاريخي والاجتماعي لمجتمع الدراسة**، حيث استعرض المسرح الجغرافي والبيئي الذي تجري عليه ممارسات القائمين على هذه الحرفة. وتناول الإطار التاريخي خلفية موجزة للتاريخ الحديث والمعاصر للمملكة العربية السعودية، وهي الفترة التراثية التي يعالج هذا البحث بعضاً من أحداثها. وختم الفصل بعرض الإطار الاجتماعي الذي كانت المجتمعات البدوية إحدى مكوناته مستعرضاً بعض جوانب تكيفها على بيئاتها خلال تلك الفترة .

و عرض **الفصل الثاني للدراسة الميدانية** واشتمل على استعراض لأهمية هذه الدراسة وحدد أهدافها وبين المناهج المتبعة لتحقيق تلك الأهداف. ثم عرض للدراسات السابقة المباشرة، التي تناولت هذا الموضوع وحدد مدى ملائمتها مع ما يسعى هذا البحث لتحقيقه. ثم حدد المناطق التي قامت الباحثة بزيارتها خلال العمل الميداني وحجم العينة وكيفية جمع البيانات وما نتج عن تلك الزيارات من مادة علمية.

وتناول **الفصل الثالث نشأة وتطور الحرفة موضوع الدراسة**. بتتبع ظهورها المبكر، ويتابع ما طرأ عليها من تطور. كذلك يحاول تسليط الضوء على الكثير من الجوانب الخفية في السجل الأثري والتراثي. ومما ساعد على ذلك أن الحرفة لا تزال حية، ولا يزال القائمون عليها يعيشون بيننا وإن كانت تتجه نحو الزوال في بعض المناطق. ويتابع هذا الفصل الجانب الحي من التراث حيث يتعرض لمراحل الصناعة بدءاً بإعداد المادة الخام حتى مرحلة الاستخدام.

وتطرق **الفصل الرابع لجانب آخر من مادة الدراسة (الحياكة) ودورها في تحويل قطع السدو لمنتجات نفعية**، حيث تناول دراسة وصفية لأنواع من المنتجات النفعية تم الاطلاع عليها من مختلف مناطق المملكة خلال المسح الميداني. كما تناول هذا الفصل الجوانب الفنية واستعراض الأبعاد الزخرفية للسدو في المملكة وحصر الرموز والأشكال الزخرفية الواردة في بعض قطع السدو، كما وضح الفصل المعاني التي تحملها هذه الرموز والأشكال وأساليب زخرفتها وتشكيلها، إضافة لتوضيح الجوانب الجمالية لمنتجات السدو وزيناتها.

وفي **الفصل الخامس تناولت الدراسة المادة السابقة بالتحليل والمقارنة**، حيث عرض لتحليل أهم خصائص حرفة السدو والحياكة ومنتجاتها في المملكة العربية السعودية مع مقارنتها بمثيلاتها في البلدان المجاورة من اجل التعرف على أوجه الشبه والاختلاف التي تربط بين تلك البلدان، والتعرف على التأثيرات الوافدة التي انتقلت للمملكة عن طريق صلاتها بهذه البلدان التي كانت مرتبطة بها من خلال قوافل التجارة والحجاج، مما ساعد على كشف بعض الجوانب الخاصة بهذه الحرفة.

وخلصت الدراسة إلى خاتمة تلخص أجزاء الدراسة وما وصلت إليه من استنتاجات في شان حرفة السدو والحياكة، بيئاتها ومادتها ومعداتها استخداماتها وعلاقاتها بما سبقها وما عاصرها أعقبها ثبت بأهم المصطلحات الشعبية المستخدمة في الحرفة الواردة في الدراسة، وهي مصطلحات آخذه في الزوال شأن الحرفة ذاتها . وقد دعم كل ذلك برسومات وخرائط وصور فوتوغرافية قُصد بها المساهمة في توضيح كل ما من شأنه أن يدفع بالدراسة إلى مبتغاها ، والكمال لله وحده .

تقديم

بقلم أ.د. سعد بن عبد العزيز الراشد

عند تأسيس قسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود كان الطموح كبيراً لتطوير منهج علمي سليم يرفع من مستوى الآثار وما يتفرع منها من علوم معرفية متعددة ، في العمارة والفنون والكتابة والنقوش والتراث المادي المرتبط بحياة الإنسان على مر العصور . وشهد القسم ولله الحمد قفزات متوالية فلم يتوقف عند منح درجة البكالوريوس فحسب بل تمكن بفضل الكوادر العلمية – الوطنية والعربية وغيرها – إن ينهض بالدراسات الأثرية إلى منح درجتي الماجستير والدكتوراه .

وقد حاولنا مع الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاري – المؤسس الأول للدراسات الأثرية بالجامعة –إلى إيجاد نافذة للطالبات السعوديات لتأهيلهن بعد المرحلة الجامعية عن طريق دورات متخصصة في المتاحف والفنون بحيث يعملن في أقسام خاصة بهن في المتاحف المحلية والإقليمية، يتولين توثيق المعثورات والمقتنيات المتحفية ورسمها وتصويرها وتجهيزها للعروض المتحفية والأعمال البحثية وخلافه. ولم تكن هذه الفكرة مبتدعة، فالمتاحف في جميع بلاد العالم، والفرق العلمية التي تقوم بالحفائر الأثرية والدراسات الميدانية، تتولى المرأة فيها الأعمال الدقيقة، في الرسم والتصنيف والتوثيق والأرشفة لأنهن يمتلكن المقدرة وحسن التعامل مع المصنوعات مثل الحلي وأدوات الزينة والرسوم والمنحوتات والتصاوير الجدارية والعملات والخزف والزجاج والأدوات المعدنية وغيرها. ولا أدل على ذلك أن قاعات الفنون في المتاحف الشهيرة يديرها نساء متخصصات بكل كفاءة واقتدار .

كنا مع الأستاذ الدكتور الأنصاري والأستاذ الدكتور أحمد بن عمر الزيلعي نحاول مع الجهات الحكومية المعنية فتح مجال لعمل المرأة مع ما يتناسب ومهارتها وقدرتها في التعامل مع الفنون والتراث، غير أننا لم نوفق إذ أن المناخ لم يكن مهيئاً للعنصر النسائي في العمل المتحفي، بل أن الوعي الأثري والمتحفي لم يكن متوفراً على المستوى الرسمي والشعبي، ولم تكن المتاحف في بلادنا قد أخذت مكانتها في المجتمع كما هو عليه اليوم.

ولكن بفضل الله وجد عدد من طالبات الجامعة الفرصة سانحة للتسجيل في بعض المواد الإختيارية في الآثار والفنون وفي ضوء الخطة الدراسية التي كانت تتوفر فيها المرونة. وكان لي شرف تدريس بعض هذه المواد للطالبات عن طريق الشبكة التلفزيونية. وكنت وجلاً من نجاح التجربة ولكن ولله الحمد وجدت إقبالاً لا يوصف من الطالبات وكن شغوفات للتعلم عن تراث المملكة وحضارتها وعن الآثار والفنون العربية القديمة والإسلامية. وكانت الطالبات شديدات الإنصات في المتابعة والمناقشات الجادة وفي تقديم البحوث الفصلية المقررة، ومن شدة إعجابي وسروري بنجاح التجربة كنت أطلع بعض أعمال الطالبات على زملائي أعضاء القسم وعلى الطلاب كذلك، وقد تأملت خيراً في أن بعض الطالبات في يوم من الأيام سيواصلن المسيرة وسيحصلن على شهادات عليا في الآثار والتراث. وكان توقعي في محله. فعندما فتح القسم باب القبول للدراسات العليا تسابق عدد لا بأس به من الطالبات للتسجيل في مواضيع متفرقة في الآثار والفنون والتراث. وكن على مستوى المسئولية فاجتزن المواد التأهيلية للقبول في مرحلة الماجستير وكذلك في مرحلة الدكتوراه. ونجحن بتميز في المواد المكملة للتأهيل العالي، وكان تجاوبهن مع الأساتذة المشرفين يسر الخاطر، في مراحل جميع مواد البحوث وفي الترحال للدراسات الميدانية داخل المملكة وخارجها، وفي كتابة البحوث. وبدأت أبحاثهن المنشورة تأخذ مكانها في المكتبة العربية. وخير مثال على ما أقول هذا البحث الجميل الذي أعدته الدكتورة دليل القحطاني والذي نقدمه اليوم للدارسين والباحثين. فهي من أوائل الباحثات اللاتي تقدمن للدراسات العليا بقسم الآثار والمتاحف. فقد لمست فيها، وبقية زملائي، جديتها في البحث والتزامها بالمواعيد التي تمنح لطالبات الدراسات العليا في مقر دراستهن في حي عليشة بالرياض، وغالباً ما كانت الدراسة تتم في ساعات متأخرة من النهار، بالرغم من كونها ربة منزل. واستطاعت بإرادة قوية تنظيم وقتها بدقة متناهية حتى لا تقصر في شؤونها العملية والأسرية. فقد نجحت دليل القحطاني في مرحلة الماجستير في بحثها المميز عن " **الحلي النسائية التقليدية بمنطقة عسير** " الذي صدر في كتاب مطبوع عام ١٤٢٠ هـ. وهاهو موضوع بحثها للدكتوراه يصدر في كتاب بعنوان " **السدو والحياكة التقليدية في المملكة العربية السعودية** " ، يطبع على نفقة وزارة التربية والتعليم، تقديراً من الوزارة بأهمية الموضوع وصلته الوثيقة بالمواد التربوية المرتبطة بتعليم الفتاة وبالتربية الفنية وبالإضافة إلى أن موضوع البحث مهم للدراسات البحثية والمتحفية. وأعتقد أن الباحثة، دليل القحطاني، اختارت موضوعاً

محبباً للمرأة في مجال أعمال الغزل والنسيج والحياكة، بالرغم من صعوبة جمع مادته الأصلية من أهل الحرفة من النساء أنفسهن اللائي أصبحن عملة نادرة وبدأ عددهن يتناقص في يومنا هذا، بسبب حركة التنمية وطغيان الصناعات الحديثة المحلية والوافدة، مما تسبب في انقراض الحرف والصناعات اليدوية سواسية عند الرجال والنساء. فلم يعد لأصحاب الحرف مجالاً للمنافسة وانقطع عنهم الرزق الذي اعتادوا أن يتقاضوه مما تنتجه أيديهم ومغازلهم. وهذا أمر مؤسف حقاً لأن انقطاع الحرف والصناعات التقليدية هو انقطاع عن الجذور وعن التاريخ في الوقت الذي بقيت فيه الحرف اليدوية عامرة بالخير في كثير من بلاد العالم، بل أصبحت المنتجات الحرفية مورداً مهماً في الاقتصاد الوطني لتلك الدول. فالمرأة عبر التاريخ ارتبطت حياتها بالإنتاج والإكتساب مما تصنعه يدها. وقد شجع الإسلام على العمل الشريف. وبين أيدينا أمثلة كثيرة مما ذكرته المصادر عن حياة الأوائل من الرجال والنساء واللذين كانوا يتقنون الغزل والنسج والحياكة. ولا أدل على ذلك مما ورد في الحديث الشريف عن المرأة التي جاءت للنبي محمد ﷺ ببردة، وهي شملة منسوج في حاشيتها، : " **قالت : يا رسول الله إني نسجت هذه بيدي أكسوكها فأخذها رسول الله ﷺ محتاجاً إليها ..**". وكذلك في الحديث الشريف الذي يقول : " **خير الكسب كسب يدي عامل إذا نصح** ".

لقد أحسنت الباحثة، دليل القحطاني، في اختيار موضوع بحثها وهو موضوع ليس بالسهل البحث فيه، لأنه يغطي جميع مناطق المملكة، فكان عليها أن تبحث عن النساء اللاتي لايزلن يمارسن مهنة الغزل والنسج بالأسلوب التقليدي القديم، وتحملت مشاق الأسفار المتتابعة بسبب تباعد المسافات وصعوبة الوصول إلى مقار أعمالهن وإقامتهن. وقد وفقت الباحثة في حصر عدد مائتي ناسجة موزعات على مناطق المملكة، واختارت عينة منهن للدراسة التطبيقية. وكانت تتردد عليهن في المنازل والأسواق الشعبية، تستمع وتسجل وتدون وترسم وتصور أدوات الغزل والنسيج وخطوات العمل، بدءاً من المواد الخام ومصادرها، ومراحل التصنيع حتى اكتمال الصناعة.ولم تغفل الباحثة توثيق العناصر الزخرفية المنفذة على المواد المصنعة وإبراز أشكالها بالرسم والصورة فكان عملاً دقيقاً مكملاً لبحثها القيم.

يتكون البحث من خمسة فصول رئيسية تناولت العوامل المؤثرة في حرفة السدو والحياكة والدراسة الميدانية،وطريقة إعداد السدو وأدواته ومنتجاته والعناصر الزخرفية والمقارنة والتحليل. وخرجت

الباحثة بنتائج وتوصيات غاية في الأهمية وضعتها أمام من يهمهم الأمر بتطوير هذه الحرف المهمة. ولعلنا نأمل أن تتكلل جهود الهيئة العليا للسياحة بالنجاح من أجل المحافظة على هذه الحرفة من الضياع والعمل على تطويرها بالتعاون مع الوزارات والهيئات الحكومية المعنية والقطاع الخاص.

ونحن متأكدون أن الدكتورة دليل القحطاني وهي تتسنم وظيفة قيادية في المتحف الوطني في الرياض – ومعها كوكبة من بنات الوطن العاملات تحت قيادتها- ستتمكن إن شاء الله من توظيف هذا الجهد في برنامج مستمر لتنمية صناعة السدو والحياكة التقليدية وتحبيب الناشئة لها وإعادة الروح لهذه الحرفة.

إن ما كنا نصبوا إليه مع بداية تأسيس قسم الآثار والمتاحف في أن يكون للمرأة دور في العمل الأثري والمتحفي بدأ يتحقق ولله الحمد وفي الوقت المناسب الذي نشهد فيه مرحلة جديدة في تطوير الآثار في بلادنا على مختلف الأصعدة علمياً وإدارياً وفنياً والنهوض بالمتاحف المحلية والإقليمية والمتاحف المتخصصة. وسيكون للهيئة العليا للسياحة دوراً فاعلاً وقوياً في الاهتمام بالحرف والصناعات وهذا ما نأمل إن شاء الله.

فشكراً للدكتورة دليل القحطاني على مجهودها العلمي وشكراً لمقام وزارة التربية والتعليم على تبني طباعة هذا البحث آملين أن نرى المزيد من هذه الدراسات في المستقبل والله الموفق.

المقدمة

لم يعد الاهتمام بدراسة التراث التقليدي للأمم والشعوب محل خلاف بين شرائح المجتمع، فالأوساط العلمية تولي هذا الأمر الكثير من اهتمامها، ليس لكونه يمثل شيئاً من تاريخ الأمم وكيانها فحسب، بل لكونه يعكس قيم تلك المجتمعات وطرق تكيفها مع بيئاتها. ولكونه كذلك يكشف مختلف الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ويمثل بالتالي تجربة تلك المجتمعات عبر تاريخها مع ظروف متغيرة ومتداخلة. وبالإضافة إلى ذلك فإن الجانب التراثي المتعلق بالمجتمعات البدوية هو الأشد تعرضاً للتحول والتغير، بل والأسرع للزوال. وهو لذلك الأكثر حاجة إلى التسجيل والدراسة والتوثيق، بحكم التحول السريع الذي طرأ على المجتمعات البدوية في العصر الحديث. والتراث الشعبي للأمة يعتبر أحد المصادر الأساسية لهويتها، فهو حصيلة تاريخها وتجاربها وقيمها وعاداتها وتقاليدها التي تعبر عن تطورها. ومن هنا وجب على كل أمة جمع تراثها وإتاحته للدارسين والباحثين. ولذلك فإن الاهتمام بهذا التراث وبذل الجهود في جمعه وحفظه ودراسته دراسة علمية موثقة يؤدي إلى تقديم صورة مشرفة عنه للأجيال القادمة، وهذا هو دور المعنيين بالتراث والعارفين بأهميته والباحثين فيه، لاسيما في هذا الوقت الذي لعبت الآلة فيه دوراً بارزاً في اندثار بعض معالمه.

ولعل من أبرز عناصر هذا التراث الحرف التقليدية التي شكلت جزءاً من ثقافة المجتمع البدوي في المملكة العربية السعودية وأسهمت بشكل فاعل فيها.وتعتمد هذه الحرف على عدة عناصر أهمها المواد الخام، والأدوات الصناعية، وأسلوب الصناعة والأشكال والتصاميم التي يستخدمها الحرفي.

وتعطي هذه الحرف، والتي من أبرزها حرفة السدو والحياكة تعريفاً عاماً بالحياة الماضية. فقد ارتبطت منذ نشأتها بالبيئة الصحراوية، وجاءت نتيجة لتكيفها مع ظروف البيئة البدوية وانسجامها مع واقع حياة الصحراء. والحرفة تتكون من غزل ونسج وحياكة قطع صوفية لها احتياجات وظيفية في حياة البادية. وهي في الوقت نفسه من أهم الحرف التي اشتهرت بها المملكة العربية السعودية، حيث تعتبر من أكثر الحرف التقليدية التصاقاً بجماعات البدو الرحل الذين ينتقلون في هجرات موسمية بحثاً عن المياه والمراعي. فهي إلى جانب كونها تحقق احتياجات وظيفية يومية للفرد والأسرة تتمثل في مساكنهم والكثير من احتياجاتهم الضرورية التي يستهلكونها في مسيرة حياتهم، فإنها تعكس جهود المجتمع البدوي في القدرة على التكيف مع ظروف البيئة الصحراوية القاسية، كما تعكس قدرة هذا المجتمع على الاستفادة من موارد هذه البيئة. وقد أدت الحرفة دوراً مهماً في حياة البدو، وذلك باستغلال الثروة الحيوانية التي

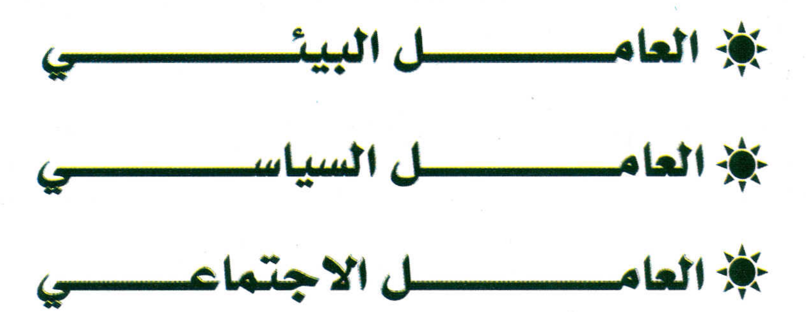
ساعدت على توفر المادة الخام اللازمة للسدو والحياكة، واستفاد البدو من أصواف وأشعار وأوبار هذه الحيوانات بأبسط المعالجات التقليدية التي ساعدت عليها البيئة نفسها، وذلك بما توفر فيها من مختلف مواد البيئة التي تعد منها أدوات هذه الحرفة.

وحرفة السدو والحياكة من الحرف التي تخص المرأة في البادية، وإن كان يعمل بها القليل من الرجال، إذ يعيب المجتمع البدوي في بعض المناطق على الرجل العمل بالسدو، وذلك لكون العمل يتم داخل البيت وبالتالي فهو أمر من خصوصيات المرأة. والسدو من الأعمال الأساسية في حياة المرأة البدوية، حيث تبدأ الفتاة بتعلم الحرفة منذ صغرها تحت إشراف والدتها، أو المتمرسات من النساء المسنات الأكثر خبرة في الحرفة. فنراها تقوم بمعاونة والدتها في الغزل ومد النَّول وبسط الخيوط وسحب خيوط الدُّجَّة ونحو ذلك. وما أن تبلغ الفتاة عقدها الثاني إلا وقد ألمت بخطوات العمل بكل مهارة واقتدار.

ومن خلال حرفة السدو والحياكة استطاعت الناسجة أن تعبر عن انفعالاتها وعواطفها وتفاعلها مع بيئتها. كما ظهرت منتجات حرفة السدو والحياكة بألوان زاهية وزخارف جميلة لها دلالات شعبية مرتبطة بالبيئة عكست ثقافة الناسجة و مهارتها. وتتباين هذه المنتجات في الأشكال والأنواع والوظائف. كما تخفي كماً هائلا من المعلومات الجوهرية التي يمكن أن تكشف الكثير من الجوانب المهمة عن الحرفة، إلى جانب كونها من الموروث الشعبي الذي يستحق التوثيق والتحليل، نظراً لكون المملكة تضم موروثاً ضخماً يعكس الكثير من الثقافات المادية في المجتمع السعودي. وقد شهدت الحرفة تراجعاً كبيراً إثر التغيرات الاقتصادية والاجتماعية السريعة، فبعد استقرار الكثير من سكان البادية وتبدل مستوياتهم المعيشية التي أدت إلى استقرارهم في المدن، ظهر للنساء مصالح واهتمامات مختلفة، فأصبحن أكثر ترفاً مقارنة بالأعمال الشاقة التي كن يقمن بها في الماضي، وهذا بدوره أدى إلى تغير شكل الحرفة وقلة الحاجة إلى الكثير من منتجاتها، مثل بيوت الشعر، والعدول والساحات وغيرها، وهكذا أصبحت المهارات المتعلقة بالحرفة مهددة بالاندثار. وهو الأمر الذي يؤكد وجود مشكلة ويساند اتجاه الباحثة إلى اختيار الموضوع مجالاً للبحث.

الفصل الأول

العوامل المؤثرة في حرفة السدو والحياكة



- العامل البيئي
- العامل السياسي
- العامل الاجتماعي

أولا - العامل البيئي:

١ - الموقع:

تقع المملكة العربية السعودية بين دائرتي عرض ١٦َ و٣٢ْ شمالاً وخطي طول ٣٤َ و ٥٦ْ شرقاً، ويعني ذلك وقوعها جغرافياً في الجزء الجنوبي من قارة آسيا [١]. وتبلغ مساحة المملكة نحو ٢،١٥٠،٠٠٠ كم٢ وهو ما يعادل ٨٠٪ من مساحة شبه الجزيرة العربية[٢]. (شكل١، أ) وتشترك المملكة في حدودها الشمالية والشمالية الشرقية مع الأردن والعراق والكويت، وفي الشرق والجنوب الشرقي مع البحرين وقطر والإمارات وفي الجنوب مع اليمن. وتطل من الشرق على ساحل الخليج العربي ومن الغرب تطل على البحر الأحمر بساحل طويل نسبياً[٣]. (شكل١، ب) وترجع أهمية هذا الموقع إلى عدة عوامل منها قربها من قناة السويس ومضيق باب المندب، إضافة إلى وقوعها في وسط العالم، فأصبحت ذات مركز تجاري مميز بين القارات الثلاث آسيا وأفريقيا وأوروبا[٤]. كما أنها تعد قبلة العالم الإسلامي وروحه النابض لوجود الحرمين الشريفين فيها. ويتكون التنظيم الإداري العام في المملكة من إمارة رئيسة، وتقع في حاضرة المنطقة، ويتبعها عدد من المدن و القرى.

٢ - التكوين الجيولوجي:

كانت شبه الجزيرة العربية قبل تكوين البحر الأحمر بفترة طويلة تعرف باسم جندوانا[٥]وقد تتابعت أحداث جيولوجية كثيرة خلال الحقب الجيولوجية المتعاقبة (مما لايدخل في إطار هذا البحث) أدت

---

(١) عبد الرحمن صادق، جغرافية المملكة العربية السعودية، ج١، دار المريخ للنشر، ط٤، الرياض، ١٤١٤هـ، ص ص ٢٥- ٢٧.

(٢) حمد طه، جغرافية شبه الجزيرة العربية، ج٢، جغرافية المملكة العربية السعودية، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٧٢ ص ص ٤٢٤، ٤٢٥.

(٣) الرويثي، أحمد محمد، الشخصية الجغرافية للمملكة العربية السعودية، دار الواحة العربية، ط٤، المدينة المنورة، ١٤٢١هـ، ص ٣٩

(٤) المرجع السابق، ص ١٦.

(٥) بندقجي، حسين حمزة، جغرافية المملكة العربية السعودية، بندقجي للنشر، ط٣، جدة، ١٤٠١هـ، ص ٧٤.

إلى التكوين الجيولوجي و الجيومورفولوجي والطبغرافي الحالي للجزيرة العربية [٦].

ويمكن تقسيم الجزيرة العربية من حيث مضاهر السطح إلى قسمين رئيسيين هما :

٢-١- إقليم الدرع العربي:

يقع هذا الإقليم في الجزء الغربي من المملكة، ويمتد من خليج العقبة شمالاً وحتى حدود اليمن جنوباً. ومن السهل الشرقي للبحر الأحمر غرباً وحتى الحافات الصخرية عند نفود السر ونفود الرحي شرقاً، وبهذا تصبح مساحة الدرع العربي حوالي ٦١٠,٠٠٠ كم٢ بمعدل ٢٨٪ من مساحة المملكة العربية السعودية(٧). وخلال الزمن الجيولوجي الثالث بدأت مرحلة تكوين الجبال وهي سلسلة جبال المرتفعات الغربية والتي يصل ارتفاعها في بعض المناطق إلى ٣٠٠٠ م فوق سطح البحر.

ويتكون سطح هذا الإقليم من صخور نارية وصخور متحولة. كما توجد بعض الصخور الرسوبية الهشة، التي تعتبر أكثر حداثة من حيث التكوين من الصخور النارية [٨].

٢-٢- إقليم الرف العربي:

يقع هذا الإقليم إلى الشرق من الدرع العربي، ويمتد شرقاً حتى الخليج العربي وشمالاً مع الحدود الشمالية للمملكة مع العراق والأردن، وجنوباً مع اليمن، وفي الجنوب الشرقي مع سلطنة عمان [٩] وتبلغ مساحته نحو ١,٦ مليون كم ويشكل حوالي ٧٢٪ من مساحة المملكة [١٠] وقد غمرت مياه البحر هذا الإقليم في فترات سابقة، ترسبت على سطحه طبقات رسوبية سميكة وصل سمكها إلى ١٠,٠٠٠ متر عند شواطئ الخليج العربي. ويزداد سمكها كلما اتجهنا إلى الشرق، وتحتوي هذه الطبقات الرسوبية على كمية كبيرة من

---

(٦) سقا، عبد الحفيظ محمد، الجغرافية الطبيعية للمملكة العربية السعودية، النا شر المؤلف، ط٢، جدة، ١٤١٩هـ، ص٤٣.

(٧) الشريف، عبد الرحمن صادق، جغرافية المملكة العربية السعودية، ص ٥٠.

(٨) الشنطي، أحمد محمود سليمان، جيولوجية الدرع العربي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ١٩٩٣ م، ص ١٣.

(٩) السقا، محمد عبد الحفيظ، الجغرافية الطبيعية للمملكة العربية السعودية، ص ٢٣.

(١٠) الرويثي، محمد أحمد، الشخصية الجغرافية للمملكة العربية السعودية، ص ٥٠.

البترول خاصة في منطقة الخليج العربي. ويوجد في هذا الإقليم أيضاً أحواض إرسابية تحتوي على روسوبية سميكة، هي حوض الربع الخالي، وحوض الخليج العربي، وحوض الدبدبة، وحوض سرحان [11].

٣ـ التضاريس:

لاشك أن دراسة تضاريس المملكة لها تأثير بالغ الأهمية لما لها من تأثير مباشر أو غير مباشر على بيئة الإنسان ونشاطاته، خاصة البدو (مجتمع الدراسة)، فمظاهر السطح من العوامل المؤثرة في الاستقرار والتوزيع الجغرافي للسكان، ويشتمل سطح المملكة على معظم أنواع أشكال السطح. وتنقسم تضاريس المملكة إلى الأقسام التالية:

٣ـ١ـ الإقليم الشمالي:

ويضم هذا الأقليم القسم الشمالي من أراضي المملكة، ويمتد بين النفود الكبير في الجنوب والحدود العراقية والأردنية والكويتية من الجهات الثلاث الأخرى وينقسم إلى ثلاث هضاب هي:

أ- هضبة الحماد: ويبلغ متوسط ارتفاعها إلى حوالي ٨١٥ متر فوق سطح البحر.

ب- هضبة الحجرة: وتقع جنوب شرق هضبة الحماد ويبلغ متوسط ارتفاعها إلى ٥٠٢ متر فوق سطح البحر.

ج ـ هضبة الدبدبة: وتقع جنوب شرق هضبة الحجرة ويبلغ متوسط ارتفاعها إلى ٣٩٥ متر فوق سطح البحر [12].

٣ـ٢ـ الإقليم ألاوسط:

وتشغل هذه الهضاب منطقة شاسعة من أراضي المملكة، ومنها:

أ ـ الهضبة الوسطى: وتمتد شرقاً ما بين سلاسل المرتفعات الغربية وبين صحراء الدهناء شرقاً، نحو

---

(١١) السقا، محمد عبد الحفيظ، الجغرافية الطبيعية للمملكة العربية السعودية، ص ٢٥.

(١٢) سقا، عبد الحفيظ محمد، الجغرافية الطبيعية للمملكة العربية السعودية، ص ٥٤.

٦٥٠ كم من النفود الكبير شمالاً وحتى الربع الخالي جنوباً بمسافة ٨٠٠ كم وتعرف بهضبة نجد، وتنقسم إلى قسمين القسم الغربي وهو يتكون من الصخور النارية المتحولة القديمة وهو جزء من الدرع العربي، أما القسم الشرقي فيمتد من نفود السر ونفود الدحي إلى الدهناء شرقاً ويتكون من الصخور الرسوبية [١٣].

ب - الهضاب الغربية: وتقع إلى الشرق من المرتفعات الغربية ويبلغ أقصى إرتفاع لها في الجزء الجنوبي، وتبدأ في الانحدار التدريجي في الاتجاه الشمالي الغربي حيث تمثل أقل الارتفاعات. ويمكن تقسيمها كمايلي:

١. هضبة الحسي: وتقع بين جبال السراة ووادي السرحان.

٢. هضبة الحجاز: وتقع إلى الجنوب من هضبة الحسي.

٣. الحرات: وتمتد من الشمال إلى الجنوب موازية مرتفعات الجنوب.

٤. سهل ركبة: ويقع بين حرة القشب شمالاً وحرة الحضن جنوباً شرق الطائف.

٥. هضبة عسير: وتقع إلى الجنوب من الحرات وإلى الشرق من سلسلة المرتفعات العالية.

٦. هضبة نجران: وتقع في أقصى جنوب المملكة العربية السعودية.

ج - الهضاب الشرقية: وتمتد من نطاق الدهناء الرملي غرباً إلى السهل الساحلي للخليج العربي شرقاً، ومن وادي الباطن شمالاً إلى أطراف الربع الخالي جنوباً، وهي مرتفعات شبه مستوية تتكون من الحجر الجيري والرملي والصلصال، وتنقسم إلى قسمين هما: هضبة الصمان والحواف الصخرية على السهل الساحلي للخليج العربي [١٤].

---

(١٣) بندقجي، حسن حمزة، جغرافية المملكة العربية السعودية، ص ٨٤.

(١٤) الشريف، عبد الرحمن صادق، جغرافية المملكة العربية السعودية، ص ٧٤.

د - العروق الرملية: وهي عبارة عن رمال متحركة متمثلة في كثبان رملية متنوعة، ويعتبر عامل الرياح هو العامل الهام الذي شكّل سطح هذه المساحات الرملية الشاسعة من سطح المملكة وتنقسم هذه الرمال كمايلي:

١. الربع الخالي: ويتكون من كثبان رملية عالية هلالية الشكل ومعقدة التشابك، وكثبان رملية ثابتة ومتحركة. ويمتد الربع الخالي من شرق المرتفعات الغربية للمملكة واليمن من الغرب إلى أقدام المرتفعات في عمان من الشرق و من هضبة نجد شمالاً إلى حدود اليمن و عُمان جنوباً.

٢. صحراء النفود الكبرى: وتقع في شمال غرب المملكة بين منطقتي حائل والجوف وتعرف قديماً برملة عالج وهي عبارة عن مجوف واسع بين مناطق صخرية صلبة هي مناطق الهضاب، وهذا المجوف مليء بالرمال المتحركة والثابتة.

٣. صحراء الدهناء: وتمتد هذه الصحراء على شكل قوس مفتوح من الغرب، يصل النفود الكبير والربع الخالي بطول ١٢٠٠ كم، وتتكون من سلاسل رملية متوازية (١٥).

٣ - ٣ - السهول الساحلية الشرقية:

تمتد هذه السهول من شمال رأس الخفجي حتى خليج سلوى، ويبلغ طولها حوالي ٥٦٠ كم وعرضها حوالي ٦٠ كم وهي عبارة عن سطح منخفض شبه مستو، ويتميز خط هذه السهول بالتعرج وانخفاض المياه فيه، وتنتشر في طول السهل الساحلي السبخات وهي عبارة عن مناطق مستوية تتكون من طبقات وخليط من الرمل والطمى والأملاح التي يصل سمكها إلى عدة أمتار (١٦).

---

(١٥) المرجع السابق، ص ٧٧.

(١٦) المرجع السابق، ص ٦٥.

٣ ـ ٤ ـ السهول الساحلية الغربية:

تقع هذه السهول في أقصى غرب المملكة وتعرف بسهول تهامة، ويبلغ طولها حوالي ١٧٠٠كم من خليج العقبة عند الحدود الأردنية شمالاً وحتى الحدود اليمنية جنوباً، ويحد السهول البحر الأحمر غرباً وجبال السروات شرقاً، ويتفاوت عرضها من منطقة لأخرى حيث يبلغ أقصى اتساع لها ٤٥ كلم بالقرب من جيزان بينما يضيق حتى ٢٠ كلم في الشمال عند رابغ، بمعنى أنها تتسع كلما اتجهنا جنوبا [١٧].

٣ ـ ٥ ـ المرتفعات الغربية:

وتعرف هذه المرتفعات بجبال السروات، وتعتبر من أهم مظاهر السطح في شبه الجزيرة العربية، وهي كتلة طولية تمتد بمحاذاة السهل الساحلي للبحر الأحمر بطول ١٧٠٠كم من الحدود مع الأردن شمالاً حتى الحدود مع اليمن جنوباً، وهي ضيقة شمالاً وتتسع في الوسط والجنوب. وهي عبارة عن سلاسل جبلية طولية متوازية. ويبلغ أقصى ارتفاع لها في الجنوب، ويتفاوت ارتفاعها من منطقة لأخرى [١٨].

بعد هذا العرض لأهم تضاريس المملكة تبين التنوع في السطح بالنسبة للمملكة حيث توجد الجبال والهضاب والحرات والأودية والشعاب والسهول[١٩]. وقد ساعد هذا على إيجاد جميع مقومات الحياة الطبيعية، فوجود المرتفعات والهضاب وما يتخللها من أودية وشعاب وسهول، ساعد على إقامة التجمعات السكانية حولها لتوفر الماء وهو أهم عناصر الحياة الرئيسة، كما أن خصوبة الأراضي في مناطق الحرات أدت إلى إقامة الزراعة، فالتجمعات السكانية بطبيعتها تحاول قدر استطاعتها التكيف مع البيئة المحيطة بها بما يتناسب معها، وذلك بتسخير الظروف الطبيعية لصالحها، وقد ساعدت هذه الظروف على زيادة الثروة الحيوانية المصدر الأساسي للمادة الخام للحرفة موضوع الدراسة.

---

(١٧) المرجع السابق، ص٣١.

(١٨) سقا، عبد الحفيظ، الجغرافية الطبيعية للمملكة العربية السعودية، ص٤٣.

(١٩) المرجع السابق، ص ٧٢.

٤ ـ المناخ:

منذ القدم والإنسان يحاول بمختلف الأساليب الممكنة أن يتكيف مع البيئة المحيطة به ليستطيع العيش فيها ويمارس نشاطاته. وقد تنوع المناخ العام ما بين ساحلي وجبلي وهضابي وسهلي. ويدخل المناخ في تشكيل نوع الحياة النباتية والحيوانية، وينعكس هذا على نشاط السكان. ومن هذا المنطلق نجد ان المناخ السائد في المملكة العربية السعودية انعكس انعكاسا مباشرا على مجتمع الدراسة من حيث المعالجة والتغلب على المؤثرات المناخية. ولكي نتعرف على مدى تأثير الظروف المناخية على الحرفة موضوع الدراسة لابد من الحديث عن أهم العناصر المناخية الرئيسة وهي على النحو التالي:

٤ ـ ١ ـ الحرارة:

وبسبب موقع المملكة في النطاق المداري وشبه المداري، فقد تتميزت درجة حرارتها بالارتفاع الكبير معظم أيام السنة. ونلاحظ وجود تشابه واضح في معظم مناطقها من حيث إرتفاع الحرارة حيث يزداد معدل درجة الحرارة السنوية فيها عن 20 م في جميع مناطق المملكة عدا مناطق المرتفعات الجبلية[٢٠]. لذا حاول البدو في الصحراء الحد من تأثير الحرارة في الصيف والبرودة في الشتاء، فقد عمدوا إلى نسج بيوتهم من شعر الماعز القوي الذي يحفظ الحرارة في فصل الشتاء وفي الصيف تتمدد خيوطه فتتسع الثقوب في النسيج ويدخل الهواء، مما يؤدي إلى تسرب الهواء. ويعتبر شهر يوليو أكثر الشهور ارتفاعا في درجة الحرارة المسجلة في محطات المملكة، وشهر يناير أقلها حرارة .

٤ ـ ٢ ـ الضغط الجوي والرياح:

هناك اختلاف في معدلات الضغط في مناطق المملكة حيث يعتبر هذا الاختلاف سبباً في اختلاف سرعة الرياح واتجاهاتها[٢١]. فالمملكة تقع في منطقة الضغط المرتفع المدارية وهي محاطة بمنطقتي ضغط منخفض إحداها استوائية نحو الجنوب والأخرى معتدلة نحو الشمال. والجهات الجنوبية من المملكة تتأثر بالضغط المنخفض الاستوائي والجهات الشمالية تتأثر بالضغط المنخفض في المنطقة المعتدلة. ونجد أنها تتأثر في فصل الصيف بمركزين للضغط المنخفض، أحدهما يتركز على الهند ويمتد إلى جنوب إيران وخليج عمان،

---

(٢٠) الشريف، عبد الرحمن صادق، جغرافية المملكة العربية السعودية، ص ٨٢.

(٢١) المرجع السابق، ص ٨٧.

والآخر يتركز على هضبة الحبشة ويتمركز الضغط المنخفض في جنوب المملكة، لذلك فإن اتجاه الرياح الحاملة لبخار الماء تكون جنوبية غربية وهي تسبب سقوط أمطار على جنوب المملكة العربية السعودية. أما شمال المملكة فيكون تحت منطقة الضغط المرتفع المدارية حيث تسقط الأمطار، وتهب عليه الرياح الشمالية، والشمالية الشرقية والشمالية الغربية. وفي فصل الشتاء تكون متجهة نحو الجنوب، فتبتعد منطقة الضغط المنخفضة الموسمية عن جنوب المملكة فتكون الرياح الجنوبية والجنوبية الغربية والمسببة للأمطار في الجنوب وجنوب غرب المملكة أقل تأثيراً. وتكون منطقة جنوب المملكة تحت تأثير منطقة الضغط المرتفع، وشمال المملكة يكون تحت تأثير منطقة الضغط المنخفض للمنطقة المعتدلة. وفي فصل الشتاء أيضاً تكون الرياح جنوبية وجنوبية شرقية وجنوبية غربية[٢٢] .

٤ ـ ٣ ـ الأمطار:

نظراً لتأثير الضغوط والكتل الهوائية الصيفية التي لا تسمح بسقوط الكثير من الأمطار، إذ إن لأمطار في المملكة العربية السعودية قليلة بوجه عام لأنها تقع في منطقة مدارية جافة وتتعرض في بعض اجزائها لهبوب الرياح الجافة شديدة الحرارة، وتتفاوت معدلات الأمطار في المملكة، عدا الجزء الجنوبي الغربي من المملكة، حيث يصل معدل سقوط الأمطارإلى ٢٠٠ ـ ٥٠٠ ملليمتر في السنة. ويرجع ذلك إلى تميز المنطقة بطبيعة جبلية تتعرض للمؤثرات الموسمية الممطرة[٢٣].

٤ ـ ٤ ـ الرطوبة النسبية:

الرطوبة النسبية هي مقدار ما يحتوي عليه الهواء من رطوبة إلى درجة الإشباع، أي النسبة المئوية لمقدار البخار العالق في الجو، وتعتبر المناطق الأعلى حرارة أقل المناطق من حيث معدل الرطوبة، والمناطق الأقل حرارة يرتفع فيها معدل الرطوبة، ويبين هذا أن درجة الحرارة تتناسب عكسياً مع الرطوبة النسبية [٢٤]

ويتضح مما سبق ذكره أن عناصر المناخ تلعب دوراً مهماً في تحركات مجتمع الدراسة، حيث الاعتماد

---

(٢٢) بندقجي، حسين حمزه، جغرافية المملكة العربية السعودية، ص ١١٤.

(٢٣) مشخص، محمد عبد الحميد، الجغرافية البشرية المعاصرة للمملكة العربية السعودية، ص ١٦٢.

(٢٤) بندقجي، حسين حمزة، جغرافية المملكة العربية السعودية، ص١١٨.

عليها في توفر المياه والنباتات والحشائش التي ترعاها الحيوانات. كما أن هذه العناصر تتحكم في شكل ونمط النشاط عند سكان البادية وفي طبيعة الغطاء النباتي.

٥ - النباتات الطبيعية:

النبات الطبيعي هو الغطاء الأخضر الطبيعي الناتج عن سقوط الأمطار بدون تدخل الإنسان، ونظراً لتنوع التضاريس والمناخ في المملكة فقد انعكس هذا التنوع على نمو النباتات الطبيعية. وبالرجوع إلى خارطة الأقاليم النباتية في المملكة نلاحظ التقسيم التالي للنباتات إضافة إلى بيئاتها الطبيعية[٢٥]

٥ - ١ - نباتات الجبال:

يختلف الغطاء النباتي لهذه المرتفعات عن بقية أقاليم المملكة، نظراً لاختلاف مناخه واعتداله وتوفر المياه فيه وخصوبة تربته، حيث تختلف كثافة النباتات الطبيعية فيه ، فمثلاً تنمو على قمم الجبال أشجار العرعر وأشجار التين وأشجار الطلح والأَثل. بينما تنمو في السهول التهامية المنخفضة نباتات العشر والأُقحوان وأشجار الأَراك والسِّدر [٢٦] وغيرها.

٥ - ٢ - .نباتات السهول الساحلية:

وتكثر على شواطئ البحر الأحمر والخليج العربي، نباتات مثل المانجروف نظراً لعدم تحمله البرودة ونبات الشورة، وتتميز هذه النباتات بتوازن مائي منتظم لان أوراقها تختزن الماء.

٥ - ٣ - نباتات الرمال:

وتنمو هذه النباتات متفرقة عن بعضها البعض وتكون قليلة جداً وتتمثل تربتها في الرمال الناعمة، ويعتبر نبات الثمام من النباتات المنتشرة فيها.

---

(٢٥) سقا، عبد الحفيظ محمد، الجغرافية الطبيعية للمملكة العربية السعودية، ص ص ١٤٩- ١٥٦.

(٢٦) المرجع السابق، ص ١٥٦.

٥ ـ ٤ ـ نباتات الهضاب الداخلية:

تتميز الأودية بخصوبة تربتها ووفرة المياه فيها ومن أهم نباتاتها ، السلم والمرخ والعرفج والعشر كما يوجد بها أشجارتعرف با(المتوغّلات) لأن جذورها تتوغل في التربة ، ولا يقتصر وجود هذه الأشجار على الأودية بل تنتشر في معظم مناطق المملكة ، نظرا لتحملها قسوة الظروف الصحراوية مثل: النخيل ، والأثل ، والطلح.

٥ ـ ٥ ـ نباتات الهضاب الشمالية والشرقية:

ويكون وسط المنخفضات غنياً بالنبات الطبيعي ، نظراً لوفرة المياه فيه ، ومن نباتات هذه البيئة نبات الثمام وترعاه الإبل والأغنام والماعز وهي مصدر المادة الخام للحرف موضوع الدراسة ، كما تنتشر أشجار السِّدر ، وتوجد في هوامش المنخفضات بعض النباتات الدائمة التي لها قدرة على مقاومة الجفاف والقدرة على اختزان الماء في أوراقها وجذورها مثل الصبار والعشر. وتعود أهمية الأشجار المنتشرة في جميع مناطق المملكة إلى استخدامها في إنتاج التقنيات التقليدية ، لأنها تعتبر المصدر الرئيسي لمكونات هذه التقنيات أو الوسائل المعيشية أو الأدوات ، حيث حاول البدوي استغلال هذه النباتات في تقنيات مهمة تعتبر من ضروريات الحياة في البادية في عدة مجالات كالعلاج مثلاً ، فالمجتمع البدوي يعتمد على التداوي بالأعشاب بطرق تقليدية اكتسبها بالخبرة وتعلمها من خلال التجربة الطويلة. إضافة إلى إن هذه النباتات تعتبر مادة الوقود الأساسية في البادية. كما تعود أهميتها أيضاً إلى استغلالها في حرفة الرعي السائدة في المجتمع البدوي ، لأن الماشية تعتبر عنصراً مهماً للثروة الحيوانية ويجد البدو في هذه النباتات مجالاً خصباً لممارسة الرعي.

٦ ـ المراعي:

تتميز المملكة العربية السعودية بمساحات واسعة من المراعي قد لا تتناسب مع قلة الحيوانات التي تعيش عليها ، ويمكن تقسيم المراعي طبقا للأقاليم الجغرافية المتنوعة في المملكة العربية السعودية كالتالي:

أ ـ الإقليم الرعوي الجنوبي الغربي:

ويحتل هذا الإقليم أفضل المناطق الرعوية في المملكة نظراً لغنى هذه المناطق بالأعشاب والشجيرات المتوفرة على مدار العام، ويرجع ذلك لكثرة سقوط الأمطار.

ب ـ الإقليم الرعوي الأوسط:

ويتمثل هذا الإقليم من نجد والهضاب الداخلية ويتميز باتساع مساحة المراعي فيه، ونظراً لكثرة الوديان فقد توفرت فيه مساحات للرعي حيث تنمو الشجيرات والحشائش الفقيرة والمتباعدة. ويشكل هذا الإقليم مناطق لترحال البدو الذين يعتمدون على الإبل والأغنام في حياتهم.

ج ـ الإقليم الرعوي الشمالي:

وتكثر في هذا الإقليم الأعشاب والشجيرات والنباتات الحولية، خاصة مناطق الوديان، ويكثر تنقل البدو بمواشيهم في هذا الإقليم.

د ـ الإقليم الرعوي الشمالي الغربي:

يتسم هذا الإقليم بالفقر البالغ في المراعي، ويرجع ذلك لقلة الأمطار مما أدى إلى شح الثروة الحيوانية فيه.

هـ ـ الإقليم الرعوي الشرقي:

ويعد هذا الإقليم أفقر الأقاليم الرعوية نظراً لتصحر المنطقة وقلة الأمطار فيها.

وتعود أهمية هذه المراعي لاحتوائها على نباتات ذات أخشاب صلبة مثل الطلح والأثل والسدر. وهذه تدخل في صناعة بعض أدوات حرفة السدو والحياكة، كالمغزل والنول وأدواته[٢٧].

---

(٢٧) مشخص، محمد عبد الحميد، الجغرافية البشرية المعاصرة، ص ص ٢٠٤- ٢٠٥.



٧ـ الثروة الحيوانية:

تعتبر تربية الحيوان من أهم الثروات التي يعتمد عليها سكان المملكة العربية السعودية، حيث تشكل أهم المصادر الاقتصادية. وتتمثل هذه الثروة في الأغنام والماعز والإبل، ويوجد منها قطعان كثيرة في المملكة، ونظراً لأهميتها فقد عني السكان بتربيتها ورعايتها. وقد انعكس هذا بلا شك على حرفة السدو والحياكة، كون هذه الحيوانات تعد المصدر الأساس للمادة الخام للحرفة موضوع البحث. وتتوافر في المملكة ثروة حيوانية كبيرة تقوم القبائل البدوية على تربية الجزء الأكبر منها كنشاط إقتصادي أساسي لحياتهم (٢٨).

وسوف نقوم باستعراض أهم أنواع الحيوانات التي تقوم عليها صناعة السدو والحياكة في المملكة العربية السعودية وهي على النحو التالي:

٧ـ ١ـ الضأن:

وتأتي الضأن (الأغنام) في المرتبة الأولى بالنسبة للثروة الحيوانية للمملكة، وقد اعتمد السكان على منتجاتها اليومية من الحليب واللبن والسمن. كما استفادوا من صوفها وجلودها في صناعاتهم. فيُجَزُّ صوف هذه الأغنام لاستغلاله في حرفة السدو والحياكة موضوع البحث. ومما يلاحظ أن رأس الغنم الواحد يعطي ١،٥ – ٢،٥ رطل تقريباً من الصوف في السنة وصوفها طويل وخشن تصعب صباغته. ويوجد العديد من سلالات الأغنام في المملكة، أهمها النوع المعروف بالأغنام (النجدية) السوداء وتتواجد في وسط وشرق وشمال المملكة العربية السعودية، وتعتبر من أجود أنواع الحيوانات المنتجة للحم كما أن أدرارها للحليب مرتفع و صوفها طويل وغامق، ويغزله البدو لعمل السدو.

كما توجد الأغنام النجدية البيضاء وهي مساوية للأغنام السوداء في إنتاج اللحم واللبن أما أصوافها فهي ممتازة في صناعة السدو وذلك لقابلية لونها للصباغة، وأما الأغنام المعروفة (بالموسيمي) و(النعيمي) فتتواجد في المنطقة الشمالية وهي بيضاء بها شيء من السواد أو بُنية في مقدمة الأرجل والرأس، وهي كثيرة اللبن وتتميز أصوافها بالكثافة والانتظام أكثر من النجدية. وهناك أغنام (العويس) التي تتواجد في المنطقة

---

(٢٨) الصويان، سعد عبد الله، الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية، دار الدائرة للنشر والتوثيق، الرياض، ١٤٢٠هـ ص ١١٥.

الشمالية وهي أصغر حجماً من النجدية تربى من أجل ألبانها ، وتفوق الأغنام النجدية في كثرة اللبن وغزارة ونعومة أصوافها. كما توجد الأغنام (الحرية) في المناطق الواقعة بين حدود اليمن والعقبة على طول ساحل البحر الأحمر وتجمع ألوانها الأبيض والأسود المتداخل، وهي ذات شعر خيطي غير متجعد. وتوجد الأغنام (الحبشية) وهي من أصل إفريقي في منطقة عسير وهي تشبه الأغنام الحرية ولكنها أصغر حجماً منهما ،فضلاً عن قصر صوفها[٢٩](شكل٢).

٧-٢- الماعز:

وتأتي الماعز في المرتبة الثانية بعد الأغنام في المملكة، وتشترك مع قطعان الأغنام في معظم أنحاء المملكة، كما يستفيدون من لحومها وحليبها وأشعارها ، وتعتبر أشعارها في درجة متوسطة من الطول وألوانها مختلفة تشمل الأسود والبني والأحمر القاتم والأبيض كما توجد المرقشة ، أي المختلطة بأكثر من لون [٣٠].

وفي جنوب تهامة عسير توجد أنواع من الماعز صغيرة وقصيرة الشعر تشبه الغزلان، لونها عادة أبيض أو مرقش، وأذناها صغيرة مرفوعة تناسب المناطق الجبلية. وفي ساحل البحر الأحمر يوجد الماعز المصري ذو اللون الأحمر. ويوجد الماعز السوري والعراقي في شمال المملكة ، وترتفع نسبة إنتاج اللبن من الماعز عنها في الأغنام، وتستعمل جلودها في صناعة القِرَب لحمل الماء في البادية ، ويكثر استعمال أشعارها في صناعة بيت الشعر أحد منتجات حرفة السدو[٣١] (شكل٣).

٧-٣- الإبل:

هي إحدى وسائل المواصلات في البادية حيث يعتمد البدو على ألبانها ولحومها وجلودها ووبرها ، بل حتى فضلاتها حيث يعتمد البدو على روث الإبل لإشعال النار ، ويسمى الجلة. وبناء على ما وجد في الرسوم الصخرية من أدلة فقد أعتبر أول ظهور للجمل في الجزيرة العربية في الشمال حيث استخدم كحيوان

---

(٢٩) الشريف، عبد الرحمن صادق، جغرافية المملكة العربية، ص١٩٥.

(٣٠) الغرفة التجارية الصناعية، الخيوط والألياف الحيوانية، إدارة البحوث، مطابع السفراء، الرياض، ١٤٠٦هـ، ص ٢- ٤.

(٣١) الشريف، عبد الرحمن صادق، جغرافية المملكة العربية السعودية، ص١٩٦.

مستأنس[٣٢]. ولا يختلف توزيع الإبل في المملكة عن قطعان الماشية كثيراً فهي تشترك مع الأغنام والماعز. ويستفيد البدو من وبر الإبل المتساقط تلقائياً منها ويقوم البدو بجمعه طوال العام، أما ألوان الوبر فهي ألوان الإبل المتعارف عليها عند أهل البادية وهي الوضح، والمِلح، والشِقح، والشِعل، والحُمر، والصُفر[٣٣]. وفي المملكة تقوم معظم القبائل بتربية الإبل وتميز ملكيتها بعمل (الوسوم) وهي علامات خاصة على أجسام الإبل لإثبات ملكيتها، فلكل قبيلة وفرع قبيلة علاماتها الخاصة. وتعتبر المملكة رابع دولة من حيث تربية الإبل في الوطن العربي. ويوجد في المملكة ثلاث سلالات من الإبل هي:

المجاهيم: وتربى في المنطقة الجنوبية من الجزيرة العربية ونجد، تمتاز بكبر حجمها وكثافة وبرها، كما أن إدرارها للحليب مرتفع، وتتميز باللون الأسود.

الوراك: وتربى في مناطق تهامة عسير، وتمتاز بصغر الحجم وإدرارها للحليب منخفض وتستعمل أكثر في النقل، وألوانها البيض والحُمر.

الخوارة: وتوجد في الأطراف الشمالية من المملكة، وتمتاز بالرشاقة ورقة الجلد، وتنتج حليب بكميات كبيرة[٣٤]. وتوجد في المملكة أيضا بعض قطعان الإبل تعرف بالجيش وتسمى أيضا هجن الجزيرة وينحصر استخدامها في السباق، ومنها العمانية والحرة [٣٥].

وترجع أهمية هذه الحيوانات في استخدام أصوافها وأشعارها وأوبارها في حرفة السدو والحياكة [٣٦] (شكل٤).

---

(٣٢) مجيد، خان، الوسوم الرموز القبلية في المملكة العربية السعودية، ترجمة عبد الرحمن الزهراني، وكالة الآثار والمتاحف، الرياض، ١٤٢١هـ ص٤.

(٣٣) الهوا وي، عبد الرحمن بن سعود، الجمل العربي بين العلم و التراث، إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة، الرياض، ١٤١١هـ، ص ١٠٣.

(٣٤) الصانع، محمد عبد الله، الإبل العربية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت ١٩٨٣م، ص٧١.

(٣٥) الزيد، عبدالله، الإبل في الوطن العربي، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ١٩٩١م، ص٤٢٤.

(٣٦) الصويان، سعد عبد الله، الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية، ص٤١٦.

ثانياً ـ العامل السياسي:

مرت الجزيرة العربية بفترات غامضة من تاريخها لم تدون بشكل جيد وبقيت غير واضحة للباحثين. ولكننا نلمس عمقها التاريخي مما تبقى من كتابات ونقوش وجدت منتشرة على واجهات الصخور وداخل الكهوف المنتشرة في المواقع الأثرية بالمملكة والتي تعود لفترات ضاربة في القدم [٣٧]. والمملكة العربية السعودية كانت قبل قيام الحكم السعودي عبارة عن مناطق متعددة ومتفرقة تقطنها عدد من القبائل المنتشرة والمتشابكة، وكان النزاع بين أفراد هذه المناطق وزعماء القبائل شديد بسبب الصراع على السلطة والتنافس على السيادة. وقد كان عنصر البادية هو المسيطر في ذلك الوقت، كما كان لكل قبيلة أميرٌ أو شيخٌ يمارس السلطة التي يرضاها، وقد كانت هذه القبائل تحكم بالعُرف لا بالشرع، وكانت الفوضى منتشرة بين هذه القبائل[٣٨] كما كانت هذه القبائل دائمة القلق بسبب الحروب الدائمة، والطرق غير مأمونة بسبب قطاع الطرق، وكانت أقوى القبائل مثلاً تتعرض للغزو والنهب والسلب. وكانت الحجاز آنذاك تخضع للحكم العثماني المباشر للدولة العثمانية، والطريق بين مكة المكرمة والمدينة المنورة يتعرض لقطاع الطرق الذين يفرضون الإتاوات. كما كانت الاحساء تخضع للحكم العثماني، وكانت سيطرة رجالها داخل أسوار المدن فقط، أما في الخارج فالسيطرة للقبائل القوية التي لا تعترف بسلطان لأحد[٣٩].

١ ـ الدولة السعودية الأولى:

بدأ تاريخ الدولة السعودية الأولى بهجرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية سنة ١١٥٧هـ واتفاقه مع محمد بن سعود بن محمد بن مقرن على تأسيس دولة تقوم على نصرة التوحيد وتطبيق الشريعة الإسلامية في كافة الأمور. ونجح هذا الاتفاق واستمرت النجاحات وتوسعت الدولة بالفتوحات، حتى صارت

---

(٣٧) خان، مجيد، الرسوم الصخرية لما قبل التاريخ في شمال المملكة العربية السعودية، وزارة المعارف، الإدارة العامة للآثار والمتاحف، الرياض، ١٤١٤هـ، ص١٥.

(٣٨) درويش، مديحة أحمد، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، دار الشروق، ط٨، جدة، ١٤١٦هـ، ص١٥.

(٣٩) العفنان، سعد بن خلف، الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز، مطابع المعرفة، الرياض، ١٤٢٠هـ، ص ٣٠.

الدرعية مركزاً ثقافياً دينياً يرتاده طلاب العلم[٤٠].

وسارت الدولة السعودية في الدرعية من نصر إلى نصر وامتدت رقعتها بسبب اقتناع القبائل بصحة مبادئ هذه الدعوة. وبدأت الدرعية بما تهيأ لها من ظروف تحارب كل من يعترض انتشار نفوذها [٤١]. وكان من بين هؤلاء المعارضين أمير الرياض دهام بن دواس الذي استمر الصراع بينه وبين السعوديين نحو ثلاثين عاماً [٤٢].

وفي عام ١١٧٩هـ مرض الإمام محمد بن سعود ثم توفي، وخلفه في الحكم ابنه عبد العزيز بن محمد الذي واصل حكم أبيه وأكمل دوره. وكان أول عمل حربي قام به بعد وفاة أبيه الثأر من دهام بن دواس وجماعته، فسار إلى الرياض وحارب أمير الرياض دهام الذي أدرك بعد عدة معارك انتهت بنصر عبد العزيز بن محمد أن لا قدرة له على مواصلة الحرب بعد انضمام الكثير من البلدان النجدية إلى الدرعية، وبعد أن تقدمت به السن ترك الرياض منسحباً إلى الإحساء حيث توفي هناك [٤٣]. بعدها حارب عبد العزيز بن محمد أمير الخرج ابن زامل ثم رئيس نجران، فوالي العراق، وأمير الأحساء، وشريف مكة، وكان دائماً في موقف المدافع لا المهاجم وكتب له النصر على أعدائه[٤٤]، ثم دخل الحرمين الشريفين بقيادة ابنه سعود. بعد ذلك ساد الأمن والاستقرار أنحاء الجزيرة العربية، وواصل سعود إلى مشارف الشام، وحاربت جيوشه بلاد العراق وغزا اليمن وأدخلها في طاعته. وفي عام ١٢١٨هـ قُتل عبد العزيز بن محمد وهو يصلي العصر في الدرعية على يد أحد الشيعة، وخلفه في الحكم ابنه سعود[٤٥]، فتابع هذا الأخير نشاط والده العسكري حتى استولى على أغلب مناطق الجزيرة العربية وعاشت الدولة السعودية في هذه الفترة تنعم في بحبوحة الأمن وسلامة الطرق. وكان الإمام سعود يمد المحتاجين بالمعونات المالية والغذائية التي تضمن لهم

---

(٤٠) دارة الملك عبد العزيز، الطريق إلى الرياض، دراسة تاريخية جغرافية لأحداث وتحركات الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤١٩هـ، ص ٣٣.

(٤١) ابن بشر، عثمان، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج١، طبعة دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٠٢هـ، ص٤٥.

(٤٢) ابن غنام، حسين، تاريخ نجد، تحقيق ناصر الدين الأسد، دار الشروق، بيروت، ١٤٠٥هـ، ص ١٣٩.

(٤٣) العثيمين، عبد الله صالح، محاضرات وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية، ط٢، الرياض، ١٤١٣هـ، ص١٩.

(٤٤) العجلاني، منير، تاريخ البلاد السعودية، الدولة السعودية الأولى ج٢، مطابع دار الشبل، الرياض، ١٤١٣هـ ص ٣٨.

(٤٥) دارة الملك عبد العزيز، الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، مركز نظم المعلومات الجغرافية، ١٤١٩هـ، ص٤٥

ضرورات العيش نظراً للاستقرار بين جماعات البدو واستتباب الأمن بينهم واستقرار الحكم مما كان له الأثر في ازدهار الحِرَف والصناعات التي تتطلبها حاجات الناس ومن بينها حرفة السدو والحياكة.

وبحلول عام ١٢٢٠هـ أصبحت الحجاز كلها تحت الحكم السعودي، مما أيقظ العثمانيين وجعلهم يأمرون حاكم مصر محمد علي باشا بغزو الدولة السعودية. فجهز محمد علي باشا حملة بقيادة ابنه طوسون، وصلت إلى ينبع وبدأت المعارك وتكبدت حملة محمد علي الخسائر الفادحة فاستولت على المدينة وتوجهت بعدها إلى مكة فالطائف عام ١٢٢٨هـ [٤٦]. وفي عام ١٢٢٩هـ توفي سعود بن عبد العزيز فخلفه في الحكم ابنه عبد الله الذي لم يكن مثل أبيه في البسالة ولم يستطع أن يوقف الحملات في زحفها إلى نجد بعد احتلال الحجاز، حتى حاصرته في الدرعية واستسلم لها عام ١٢٣٣هـ ونقل إلى تركيا وأُعدم هناك [٤٧]. وبذلك انتهت الدولة السعودية الأولى.

٢ ـ الدولة السعودية الثانية:

بعد أن تم القضاء على الدولة السعودية الأولى من قبل قوات محمد علي باشا، سادت الفوضى السياسية وانتشر العداء بين القبائل من جديد وانعدم الأمن إلا أن الأثر الذي تركته دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نفوس سكان وسط الجزيرة العربية كان أقوى، حين أراد أولئك السكان بعث الدولة السعودية من جديد، ومنهم سلالة الإمام محمد بن سعود وهو مشاري بن سعود أخ للإمام عبد الله بن سعود آخر أئمة الدولة السعودية الأولى. وقد حاول مشاري إعادة الحكم السعودي لكنه لم يستطع بسبب خيانة مشاري بن معمر حيث دبر مؤامرة وقبض عليه وأرسله للأتراك [٤٨]. وعندما تحقق تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود من مقتل ابن عمه مشاري بن سعود على يد الأتراك، هجم على محمد بن مشاري بن معمر وقبض عليه وقتله، ثم تمكن من الاستيلاء على الدرعية في الرياض سنة ١٢٣٦هـ [٤٩].

---

(٤٦) ابن بشر، عثمان، عنوان المجد في تاريخ نجد، ص ص، ١٣٩، ١٤٠.

(٤٧) دارة الملك عبد العزيز، الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، ، ص ٤٥.

(٤٨) ابن بشر، عثمان، عنوان المجد في تاريخ نجد، ص ٢٩٧.

(٤٩) السعدي، حصة أحمد، الدولة السعودية الثانية و بلاد غرب الخليج وجنوبه مكتبة العبيكان، ط١، الرياض، ١٤١٦هـ، ص ٥١.

وفي عام ١٢٤٠هـ نجح تركي بن عبد الله في إرغام جنود ابن معمر على الخروج من الرياض، ثم قدم إليه سكان الدرعية واستقروا معه وبعد مضي عامين تمكن الإمام تركي من بسط سلطته على جميع البلدان النجدية [٥٠]. ولقد كان لتركي بن عبد الله من الصفات الجليلة ما جعل هذه البلدان تدين له بالولاء، فقد كان عادلاً في الرعية شجاعاً مقداماً كثير الخوف من الله. وقد حققت الدولة على يده نجاحات كثيرة، لكن الأطماع حول قيادة الدولة السعودية كانت أكبر حيث قام مشاري بن عبد الرحمن ابن أخت الإمام تركي بقتله غدراً في عام ١٢٤٩هـ[٥١]. وعندما علم فيصل بن تركي بمقتل أبيه حيث كان في شرق البلاد، عاد مسرعاً إلى الرياض بجميع جنوده وهجم على مشاري وقتله. ثم بويع بالإمامة على الرياض واستمر حكمه أربع سنوات. عندها جهز محمد علي باشا والي مصر حملة بقيادة إسماعيل باشا وخالد بن سعود حيث تمكنت هذه الحملة في نهاية الأمر من النصر، مما اضطر بعدها فيصل بن تركي للاستسلام وانتقل إلى مصر مع أسرته عام ١٢٥٤هـ[٥٢] وعين خالد بن سعود حاكماً للبلاد. في هذه الفترة ظهر عبد الله بن ثنيان أحد أفراد آل سعود واستطاع تعبئة من يكرهون الحكم المصري وثار على خالد بن سعود وهزمه فهرب خالد إلى الحجاز وحكم عبد الله بن ثنيان الرياض وما تبعها من مناطق. وفي عام ١٢٥٩هـ عاد فيصل بن تركي من مصر إلى نجد وتمكن من القبض على عبد الله ابن ثنيان بمساعدة النجديين وسجنه حتى توفي في سجنه [٥٣].

إنقاد سكان نجد للإمام فيصل ورحبوا بعودته حاكماً عليهم، ودخلت تحت حكمه المناطق التي سبق أن دخلت تحت حكم أبيه. وفي عام ١٢٨٢هـ، توفى الإمام فيصل بن تركي بعد مرض ألم به وتولى الحكم بعده ابنه عبدالله، غير أن هذه الدولة لم تدم طويلاً ويرجع ذلك لعدة أسباب من أهمها أطماع العثمانيين إلى جانب الخلافات التي نشبت بين أبناء الإمام فيصل وهم عبدالله وسعود وعبد الرحمن. وفي هذه الأثناء تم استيلاء العثمانيين على المنطقة الشرقية، واستغل ابن رشيد أمير حائل هذه الفرصة فوسع إمارته حتى

---

(٥٠) دارة الملك عبد العزيز، الطريق إلى الرياض، ص ٣٣.

(٥١) العجلاني، منير، الإمام تركي بن عبد الله بطل نجد ومحررها ومؤسس الدولة السعودية الثانية، ج٥، دار الشبل للنشر، الرياض، ١٤١٠هـ، ص ٢٥٣.

(٥٢) دارة الملك عبد العزيز، الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، ص ١٢٥.

(٥٣) المرجع السابق، ص ١٣٠.

شملت الأقاليم النجدية حيث استولى محمد بن رشيد على الرياض عام ١٣٠٩هـ. عندها فقد الإمام عبد الرحمن بن فيصل الأمل في استمرار الحكم حيال هذه الأطماع إضافة إلى الصراعات الداخلية، وبذلك انتهت الدولة السعودية الثانية وحلت محلها إمارة آل رشيد (٥٤).

٣ـ الدولة السعودية الثالثة:

بعد أن انتصر ابن رشيد على الإمام عبد الرحمن توجه الإمام إلى الأحساء، واستقر بينها وبين يبرين في مضارب قبيلتي العجمان وآل مرة. ثم توجه إلى الكويت حيث نزل ضيفاً على أميرها ابن صباح. ولكن الإمام عبد الرحمن وابنه عبد العزيز لم يرضوا بالحياة في الكويت وهم أهل السيادة، وبعد أن كانت أسرتهم حاكمة لنجد، هنا صمم عبد العزيز على استعادة مجد آبائه وأجداده. حيث رأى عبد العزيز بن عبد الرحمن الفرصة سانحة له عندما علم أن ابن رشيد بعيدٌ عنها وأعانه على ذلك الشيخ مبارك بن صباح حيث شجع عبد العزيز وساعده ببعض الأفراد والعتاد وتوجه عبد العزيز من الكويت عام ١٣١٩هـ ومعه ستون رجلاً وكان عمره ستاً وعشرين سنة، وتعتبر هذه بداية مسيرته الناجحة (٥٥)، وتوجهوا إلى وادي المياه شمال الإحساء فسار بهم إلى نجد وقام بشن الغارة على القبائل الموالية لابن رشيد. ثم رجع واختفى في رمال جافورة خمسين يوماً، تحرك بعدها برجاله في ربيع الآخر ١٣١٩هـ إلى الرياض(٥٦)، ومن الرياض إلى الخرج والأفلاج والحوطة ووادي الدواسر حيث دخلت كلها تحت سيطرته. وفي عام ١٣٢١هـ استولى على الوشم وسدير والمحمل ثم واصل فتوحاته عام ١٣٢٢هـ إلى القصيم وتقدم نحو البكيرية والشنانة إذ قامت معركتان تعدان من المعارك الفاصلة في تاريخ نجد هما البكيرية والشنانة. استسلمت بعدها القصيم، واستخلافها من ابن رشيد وانكسار الأتراك (٥٧).

وتمّ فتح الأحساء سنة ١٣٣١هـ ثم تربة والخرمة سنة ١٣٣٧هـ ثم عسيرسنة ١٣٣٨هـ ثم جبل شمر والمناطق

---

(٥٤) أبوعلية، عبد الفتاح، تاريخ الدولة السعودية الثانية ١٢٥٦- ١٣٠٩هـ، دار المريخ، الرياض، ١٤١٥هـ، ص٢٣٤.

(٥٥) الزركلي، خير الدين، شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٥هـ، ص ٨٧.

(٥٦) دارة الملك عبد العزيز، الطريق إلى الرياض، ص ٥٥.

(٥٧) المرجع السابق، ص ٦٣.

الواقعة شماله سنة ١٣٤٠هـ وفي سنة ١٣٤٣هـ تم ضم الطائف ومكة المكرمة. وفي سنة ١٣٤٤هـ أستولى على جدة والمدينة وباقي منطقة الحجاز، ومنها بسط نفوذه على جازان سنة ١٣٤٩هـ[٥٨] وبعد أن استتب الأمن للملك عبد العزيز في البلاد، استمرت عملية التوحيد فترة طويلة تمت على مراحل متعددة تكللت بالجهود الناجحة التي تعود إلى ما يتصف به الملك عبد العزيز من تدين وكرم وشجاعة وحسن تخطيط وقوة إرادة اكتملت بمقتضاها وحدة البلاد. وفي يوم ٢١ جُمادى الأول عام ١٣٥١هـ ثبت ما يعبر عن نضوج الرأي العام وشدة ترابطه بإعلان توحيد معظم أرجاء شبه الجزيرة العربية في دولة واحدة هي: المملكة العربية السعودية[٥٩] وقد حقق الملك عبد العزيز إنجازات حضارية كثيرة أدت إلى تطوير المملكة العربية السعودية، ومن أبرز هذه الإنجازات توطين البادية وإنشاء الهجر وكان الملك عبد العزيز يهدف من هذه العملية استقرار البدو وهجرة حياة الترحال[٦٠] وكان الملك عبد العزيز يشرف على اختيار وبناء الهجر بنفسه [٦١]، مما أدى إلى استقرار الكثير من القبائل الرحل ومما ساعد على التوطين تعيين أماكن بها آبار للمياه تصلح للاستقرار، خصصت للقبائل، ثم بناء البيوت والمساجد بالقرب منها، وإرسال طلاب العلم لهذه المساجد وتعليم أبناء القبائل في هذه الهجر القرآن الكريم ومبادئ العلوم الدينية [٦٢].

ونتيجة لذلك انتشرت التجمعات السكانية في جميع أنحاء المملكة وتحققت أهداف توطين البادية، وقد رأى الملك عبد العزيز أن الهدف السياسي يمكن أن يحقق له ما كان يصبو إليه من تأسيس أقوى وأكبر دولة في الجزيرة العربية [٦٣].

و يوضح العرض التاريخي السابق أن المملكة العربية السعودية أدت دوراً مهماً في الأحداث التاريخية التي شهدتها الجزيرة العربية عامة، وهذا الحضور التاريخي صاحبه استقرار حضاري منظم في عهد الملك عبد العزيز، إنعكس على حياة السكان الامنية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، كما انعكس على

---

(٥٨) دارة الملك عبد العزيز، الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، ص٢٠٠.

(٥٩) المرجع السابق، ص ٢٠١.

(٦٠) Armstrong, H.C. Lord of Arabia, khayat, Beirut, 1966 .p81.

(٦١) Dickson, H.R.D. Kuwait and her Neighbours, London.1956.p250.

(٦٢) دارة الملك عبد العزيز، الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، ص ٢١٥.

(٦٣) Lenczowski, G. The Political Awakenig in the Middle East, 1970 p 35.

ازدهار ونشاطات حرفية متنوعة، من بينها الحرف المرتبطة باستهلاك الثروة الحيوانية في صناعة النسيج وحياكته والتي عرفتها معظم مناطق المملكة.

ومن جانب آخر فإن الاستقرار بين جماعات البدو وإستتاب الأمن بينهم نتيجة لاستقرار الحكم الذي ألفته هذه الجماعات كان له الأثر في إزدهار الحرف والصناعات التي تتطلبها حاجة البدو ومن بينها حرفة السدو والحياكة التقليدية حيث شهدت إزدهارا ملحوظاً في الماضي القريب من قبل نساء البادية.

وفي مثل هذه المجتمعات البدوية التي شكلت جزءاً هاماً من جغرافية المملكة السكانية والتي يرتكز مصدر رزقها على حيواناتها، تتطلب حياتهم التنقل المستمر بحثا عن مراعي وفيرة لهذه الحيوانات. وهذا التنقل يتطلب بدوره نمطاً معيناً من المعيشة هو خفة الحركة والبساطة في الملبس والمسكن والمتاع.

وكانت صناعة السدو والحياكة استجابة لجانب من نمط المعيشة في هذه البيئة، ولإشباع حاجات ضرورية لهذه المجتمعات.

ثالثاً - العامل الاجتماعي:

إن الإلمام بالحالة الاجتماعية للمملكة العربية السعودية قديماً أمر هام يساعد على معرفة المتغيرات التي مرت بها حرفة السدو والحياكة موضوع الدراسة. فالمملكة العربية السعودية عرفت كغيرها من بلدان شبه الجزيرة العربية نمطين من التجمعات، نمط استقر في مراكز ثابتة عرف الزراعة وألِفَها واستساغ حياة الاستقرار وعاش قرب مركز نشاطه الاقتصادي، ويعرف هذا النمط بالحاضرة أو الحضر. والنمط الآخر هم البدو الرحل وهم في حالة حل وترحال دائم، يتحركون وراء مصادر الحياة الماء والكلأ اللازمة لرعي الإبل وقطعان الماشية التي يقومون بتربيتها، وهم منتشرون في أماكن متفرقة من جغرافية المملكة(٦٤).

وقد تكيف كل مجتمع من هذه المجتمعات حسب ظروف حركته والدور الاقتصادي الذي يقوم به، كما

(٦٤) يوسف، سهير عبد العزيز، الاستمرار والتغير في البناء الاجتماعي في البادية العربية، دار المعارف، ط١، القاهرة، ١٩٩١م، ص ١٨.

استطاع كل تجمع استغلال موارد بيئته لإشباع حاجاته الضرورية التي فرضتها هذه البيئة. فالحضر المستقرون بنوا البيوت الثابتة المشيدة من الحجارة والطين والخشب وجذوع النخل، بينما صنع البدو بيوت الشعر من شعر وصوف ووبر حيواناتهم.

وقد أثبتت نتيجة الإحصاء الديموغرافي في عام ١٤٢٠هـ أن عدد السكان في المملكة العربية السعودية قد وصل إلى ١٩,٨٩٥,٢٣٢ نسمة(٦٥). وغالبية هؤلاء السكان هم من البدو. والمجتمعات البدوية تنتشر في أنحاء مختلفة من العالم، كما إنها تنقسم إلى مستويات مختلفة من جهة خصائصها الحضارية التي تعيش فيها. وتأتي القبيلة على رأس التنظيم الاجتماعي في المجتمعات البدوية، وينتشر هذا التنظيم الاجتماعي بشكل كبير في شبه الجزيرة العربية، وذلك لما تتميز به من مناخ وظروف بيئية مختلفة عن المناطق المجاورة لها، وما تتطلبه هذه الظروف من إتمام التعايش بشكل يضمن الحياة وذلك بسبب قلة وندرة الماء والكلأ والأماكن الصالحة للسكن، أي أن الظروف المعيشية القاسية تحتم نوعاً خاصاً من التنظيم يساعد على الحفاظ على حياة البدو وحياة مواشيهم وممتلكاتهم، ومن هنا كان التنظيم القبلي يوفر هذا النوع من المحافظة على النمط والاستقرار. فالقبيلة في المجتمعات البدوية هي وحدة اجتماعية وسياسية واقتصادية متكاملة تميل إلى تكوين مجتمع مغلق على نفسه ولا يتصل بالخارج من الناحية الثقافية حتى بالقبائل المجاورة إلا في حدود ضيقة(٦٦).

وفي المجتمع البدوي السعودي تعتبر القبيلة مجتمع متماسك من صفاته التضامن وسيادة الجماعة وروحها، كل فرد فيها يؤدي دوره بتكامل مع أدوار الآخرين، وعلى الجميع أن يحافظوا على مصادر الرزق باعتبارها ملك للقبيلة، كما عليهم أن يراعوا كل ما ورثوه من عادات وتقاليد وقيم ويعلموها بالتلقين والممارسة. وقد كان لروايات ومآثر الآباء والأجداد دور كبير في حياة القبيلة حيث تعكس مدى اعتزازهم

---

(٦٥) وزارة التخطيط، مصلحة الإحصاءات العامة، الإحصاءات السكانية والحيوية، الخصائص السكانية في المملكة العربية السعودية، واقع نتائج البحث الديموجرافي، ١٤٢٠هـ، ص ٣٤.

(٦٦) الخشاب، أحمد، دراسات انثروبولوجية، دار المعارف المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م، ص٤٥٣.

وفخرهم بقبيلتهم[٦٧].

وينتمي سكان المملكة العربية السعودية إلى عدد من القبائل البدوية المكونة للمجتمع السعودي أبرزها: قبائل المنطقة الشرقية وهم: مطير وبني خالد و بني هاجر والمناصير والعجمان وآل مرة والعوازم والرشايدة[٦٨]. وقبائل منطقة نجد وهم: قحطان وعنزة وشمر والدواسر وتميم وجهينة والحويطات والشرارات وسبيع [٦٩]. وقبائل الحجاز وهم: قحطان وهذيل وثقيف والبقوم وقريش وحرب وبلي وعتيبة[٧٠]. وقبائل منطقة عسير وهم: مغيد وربيعة ورفيدة وبنى مالك وشهران وبني شهر ورجال ألمع وزهران وغامد وباللحمر وباللسمر وبلحارث ويام وعلكم[٧١]. وقبائل المنطقة الشمالية وهم: شمر والرولة والشرارات والحويطات.

وترجع أصول هذه القبائل إلى مختلف قبائل العرب التي تسكن الجزيرة العربية مثل قبائل قريش وعبس وتغلب وبكر وكلب وطي وتميم وكنانة وغيرها. وتشترك قبائل كل منطقة في مجموعة من الخصائص الاجتماعية والاقتصادية، كما أن حدودها الإقليمية متداخلة للدرجة التي تختلط فيها حيواناتهم الخاصة. وكان لكل قبيلة مضاربها الخاصة ومواطنها المعروفة. والاختلاف بين هذه القبائل سواء في البناء الاجتماعي أو في العلاقات الاجتماعية أو في العادات والتقاليد وأنماط السلوك ليس جوهريا إذ يكاد يقتصر على بعض مظاهر العادات والتقاليد تبعا لنوع البيئة الطبيعية التي تعيشها القبيلة وتبعا لاحتكاكها بقبائل أخرى. وفي الوقت الحاضر اختلط السكان كثيرا لدرجة تؤثر على أنماط التوزيع السكاني التقليدي.

وبناء على أن البدو في المملكة أكثر من الحضر وقد تصل نسبتهم قديماً إلى ثلثي مجموع السكان. فمن البديهي أن تزدهر حرفة السدو والحياكة في ذلك الوقت لضرورتها في هذه المجتمعات التي تعيش على

---

(٦٧) العمروي، عمر بن غرامة، قبائل إقليم عسير في الجاهلية والإسلام، من ١٥٠٠م- ١٢٠٠هـ، ج١، دار الطحاويي، ط٢، الرياض، ١٤٢١هـ ص١٤٣.

(٦٨) أبوعليه، عبد الفتاح حسن، الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٤١٨هـ، ص ٤٣.

(٦٩) المرجع السابق، ص ١٨.

(٧٠) المرجع السابق، ص ٨٤.

(٧١) المرجع السابق، ص ٨٥.

الترحال. ولتوفر موادها الخام الأولية في البيئة من صوف وشعر ووبر، كما جادت البيئة الصحراوية بمستلزمات الحرفة من مواد عضوية نباتية، من مختلف أنواع الأخشاب. وحقق البدو الاكتفاء الذاتي بها في مجال السكن و الكثير من الأدوات اللازمة لحياة الصحراء الشحيحة. ومن خلالها أيضا تكيف البدو مع الظروف القاسية المحيطة بهم. فسدوا حاجاتهم الضرورية من الشعر والصوف والوبر بتقنيات هذه الحرفة. وقد اعتمد البدو اعتماداً كلياً عليها في بناء بيوتهم وإعداد فرشهم وحقائبهم ومستلزمات حيواناتهم، وعمروا الصحراء بمضارب بيوت الشعر التي تمثل جزءاً من حياتهم الثقافية والاجتماعية.

ومن خلال مشروع توطين البدو بدأت الأوضاع في التغير، ومن أهم مظاهر التغير تغير البناء الاجتماعي، كنتيجة حتمية لتوطين القبائل عن طريق نقلها من البداوة للاستقرار في مراكز استيطانية تعرف بالهجَر[٧٢] وقد أوجد ذلك تحولاً في البنية السكانية لمتكن معروفة من قبل هو أهل الهجَر. ولقد وضع مشروع توطين البدو حداً لحياة البداوة والترحال حيث تمركز البدو حول موارد المياه.

وبذلك عملت الهجر على تفتيت الإطار القبلي حيث قامت عدة فروع من القبائل في هجرة واحدة، أدى هذا إلى تقلص أعداد البدو واستقرارهم حول هذه الهجر، فهاجر سكان البادية إلى المدن للعمل بالصناعات والحرف والوظائف المختلفة كالأعمال العسكرية والتجارة، واعتمد سكان البادية على المدينة في سد الكثير من احتياجاتهم[٧٣]، وارتبط وجودهم بوجود الآبار وتغيرت طريقة معيشتهم التقليدية، كما تقلص دور المرأة عما كان عليه في البادية فصارت أكثر ترفاً في القرية. وتلاشت بعض سلوكيات حياةالبدو، خاصة تلك المعتمدة على الغزو والسلب والنهب بسبب شح المياه، وتلاشت المنازعات القبلية التي كانت تسود مجتمع البادية في الصحراء[٧٤].

---

(٧٢) عبد العزيز، طلال، صورة من حياة عبد العزيز، مطابع دار الشواف، ط٣، الرياض، ١٤١١هـ، ص ٣٤.

(٧٣) الخطيب، سلوىعبد الحميد، توطين البدو في المملكة العربية السعودية، دراسة اجتماعية لهجرة الغطغط، رسالة ماجستير بقسم الدراسات الاجتماعية، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٨١م، ص ١٨٦.

(٧٤) بنوا ميشان، عبد العزيز آل سعود سيرة بطل ومولد مملكة، نقله إلى العربية، عبد الفتاح يسن، دار الكاتب العربي، بيروت، ١٣٨٥هـ ص ص ٢٢- ٢٨.

١ - الاقتصاد المعيشي:

خضع النشاط الاقتصادي في المملكة لعدة عوامل ساهمت فيه. فموقع المملكة المتميز من حيث قربه واتصاله منذ القدم بالحضارات المجاورة، جعل قوافل الحجيج تمر عبر أراضيها قادمة من العراق، وما وراءها وبلاد الشام محملة بالبضائع والمؤن[٧٥]، ذاهبة إلى مكة المكرمة إذكان له مردود إيجابي على الأوضاع المعيشية للسكان، إضافة إلى تنوع واختلاف العوامل الطبيعية من جبال وأودية وشعاب وحرات وسهول وخصوبة الأراضي، كما لعبت الأحوال الأمنية دوراً كبيراً في ازدهار واضمحلال الأوضاع الاقتصادية في المملكة.

وقد اقتصرت الأنشطة الاقتصادية في المملكة على الجهود الفردية من قبل الصُّنّاع والحِرَفيين ممن يزاولون الحرف التقليدية والصناعات البسيطة، وكانت ذات طابع تقليدي بسيط[٧٦]، ويتم ذلك بمواد محلية طبيعية وبطرق تقليدية وأدوات بسيطة، وكانت تتصف بالإنتاج المحدود الذي يهدف إلى سد استهلاك المحلي من المنتجات المصنعة، لاستخدامها في الاحتياجات اليومية[٧٧]. يعتمد الحرفي في الصناعات التقليدية على مهارته اليدوية والذهنية التي اكتسبها بالوراثة أو بالممارسة، وكانت منتجاتها ملائمة للأنماط المعيشية في القرى والأرياف،واستمرت هذه الحرف والصناعات اليدوية البسيطة تفي بكل متطلبات السكان المتواضعة بسبب بساطة الحياة. ولم يكن للمصنوعات المستوردة أي وجود قديما، إلا بعد اكتشاف النفط. ويتمثل النشاط السكاني قديما فيما يلي:

١ - ١ - الرعي:

لقد زاول سكان المملكة تربية الحيوانات على نطاق واسع، وقد شجع على مزاولتها تنوع الظروف الطبيعية التي تتمتع بها المملكة. لذا نجد أن حرفة الرعي والثروة الحيوانية تحظى بأهمية كبيرة في حياة

---

(٧٥) الحموي، الامام شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، خمسة مجلدات، دار صادر، بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ج٤، ص ص ٢٨٣، ٢٨٢

(٧٦) الجاسم، محمد علي رضا، مقدمة اقتصاديات المملكة العربية السعودية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٢م، ص١٥٧- ١٥٨.

(٧٧) الشرع، حسين علي، التطور الأقتصادي في المملكة العربية السعودية، ومستقبل التنمية، دار العلوم، ط١، الرياض، ١٤٠٣هـ، ص١٢.

السكان بالمملكة قديماً، ويرجع ذلك لأسباب منها قلة الموارد الاقتصادية والاعتماد على موارد البيئة، ومنها أيضا ارتفاع نسبة سكان البادية المهتمين بالماشية إلى مجموع سكان المملكة.

١ - ٢ - الزراعة:

اهتم سكان المملكة بالزراعة وما تنتجه من محاصيل، وكانت تعتمد على طرق ووسائل تقليدية[٧٨] خاصة في المناطق المرتفعة نظراً لخصوبة أراضيها ووفرة مياهها، وقد كانت الزراعة تعتمد في الري على طريقتين إما على مياه الأمطار مباشرة أو عن طريقة السواني وهي رفع المياه من الآبار بتقنيات تقليدية[٧٩] وأغلب هذه المحاصيل يتجه إلى الاستهلاك المحلي، ولعدم وفرته لايمكن تصديره [٨٠] وتكثر زراعة النخيل نظرا لملاءمتها للتربة والمناخ[٨١] ومن المحاصيل الزراعية التمور والقمح والذرة والبطيخ والرمان والتفاح والبرتقال.

١ - ٣ - التجارة:

ينقسم النشاط التجاري في المملكة إلى نوعين. تجارة داخلية وتعتمد على الجهد الفردي والجماعي المبسط، ويتم خلالها التبادل التجاري حول المنتجات المحلية، وتشمل تجارة الماشية كالإبل والأغنام والماعز، والمنتجات الحيوانية كالسمن والجلود المدبوغة والصوف ، والمنتجات الزراعية كالحبوب والتمور، وتجارة الملابس وأدوات الزينة والعطور والحلي والأدوات المنزلية وغيرها من السلع [٨٢] وتتم هذه التجارة في الأسواق الشعبية المنتشرة في مناطق المملكة، حيث يجري تبادل السلع بين سكان القرى والمدن. أما التجارة الخارجية فتتم مع الدول المجاورة، حيث ترتبط المملكة بروابط قوية مع العراق وبلاد فارس وبلاد الشام ومناطق الخليج العربي. وكان النشاط التجاري الخارجي يتم من خلال الدروب والطرق القديمة التي تسلكها قوافل الحجيج والتجار القادمين إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، مثل طريق حج البصرة

---

(٧٨) الجاسم، محمد علي رضا، مقدمة اقتصاديات المملكة العربية السعودية، ص١٩٩.

(٧٩) الوشمي، أحمد مساعد، من تراثنا، من إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة، مطابع الحرس الوطني، الرياض، ١٤٠٥هـ، ص٦١.

(٨٠) بدوي، محمد نصر الدين، الزراعة في المملكة العربية السعودية إنتاج وتنمية، المكتبة الفيصلية، ط١، مكة المكرمة، ١٤٥٠هـ.

(٨١) السيف، عبدالله محمد، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت، ١٤١٤هـ، ص٦٤.

(٨٢) السويدا، عبد الرحمن بن زيد، نجد في الأمس القريب، دار العلوم، ط١، الرياض، ١٤٠٣هـ.ص١٣٢، ١٢١.

الذي يجتاز منطقة القصيم، وطريق التجارة القديم الذي يخترق الجهة الشرقية من منطقة عسير، وطريق التجارة القديم المعروف بطريق الحج اليمني، الذي يعبر الاطراف الشرقية لمنطقة الباحة، و درب زبيدة في منطقة الحدود الشمالية الذي يمتد من الكوفة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة(٨٣) وقد ساعدت هذه الطرق والدروب في النشاط التجاري بالمملكة.

كما ساعدت هذه الأنشطة التجارية على رفع المستوى المعيشي للسكان وأثرت فنيا على الحرفة موضوع البحث، وذلك من خلال تبادل بعض الأفكار الفنية، كأساليب العمل والعناصر الزخرفية من بلدانهم إلى المملكة.

٢ ـ الصناعات اليدوية:

نظراً لحاجة السكان لتلبية احتياجات ضرورية، فقد حاولوا الانتفاع بكل ماهو متوفر في البيئة لسد تلك الاحتياجات، فظهرت بعض الصناعات اليدوية الخفيفة من أهمها مايلي:

٢ ـ ١ ـ الصناعات الخوصية والجلدية:

اشتهرت المملكة بكثرة النخيل، واستغل السكان هذه الثروة في الصناعات الخوصية التي مادتها الخام سعف النخيل مثل: الزنابيل، والسفر، والحصر، والمكانس. كما استغل السكان الثروة الحيوانية في الصناعات الجلدية لصنع القرب لحفظ الماء أو اللبن أو السمن والأوعية الجلدية.

٢ ـ ٢ ـ صناعة المداد:

المداد جمع مدة، وهي فرش المنازل والمساجد قديما. وتصنع من نبات الأسِل المتوفر بكثرة في المنطقة الشرقية حيث ينمو بكثرة حول العيون(٨٤) وهذه الصناعة تشبه إلى حد كبير حياكة النسيج.

---

(٨٣) أنظر مقدمة في آثار المملكة العربية السعودية، وكالة الآثار والمتاحف، وزارة المعارف، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ، وعن درب زبيدة يمكن الرجوع إلى الراشد سعد عبد العزيز، درب زبيدة طريق الحج من الكوفة إلى مكة المكرمة، دار الوطن للنشر والإعلان، ط١، الرياض، ١٤١٤هـ.

(٨٤) الجبالي، عبد الله بن سليمان، حرف ومفردات من التراث، من إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة، مطابع الحرس الوطني، ١٤١٠هـ، ص٦٩.



٢ - ٣ - صناعة الرحى:

الرحى هو أداة طحن الحبوب وكانت تستخدم سابقا عند أهل القرى، ويطلق على من يمارسون هذه الصناعة "هل الرحى"، المادة الخام لهذه الصناعة أنواع خاصة من الأحجار تسمى"الحصى"، ويصنع منها أيضا المنحاز وهو إناء من الحجر تهرس فيه الحبوب. كما تصنع منه القراوة وهي أحواض منحوتة من الأحجار بمقاسات مختلفة لها وظائف متعددة[٨٥].

٢ - ٤ - النجارة:

انتفع سكان المملكة من الأخشاب المتوفرة فيها مثل النخيل والسدر والطلح والشوحط والقرظ والعرعر، في صناعة الأبواب والنوافذ والسواني والصناديق والأقفاص وبعض الأواني المنزلية كالمباخر والكمار (مكان يعد في المجلس لوضع الدلال والقهوة والعود) والصحاف والمكاييل لقياس مقدار الحبوب. وأدوات النقل والصيد وأدوات الزراعة كما استفاد السكان من الأخشاب في صناعة بعض أدوات العمل لصناعة السدو والحياكة.

٢ - ٥ - البناء:

مارس بعض السكان مهنة البناء في جميع مناطق المملكة، وكانت المباني تقام حسب الاحتياج، ومادتها الخام الطين والحجر والجص وخشب الأثل وجريد النخل.

٢ - ٦ - الخرازة:

استغل السكان جلود الحيوانات كمادة خام لحرفة الخرازة لصناعة أوعية الماء والألبان وأوعية الري والأحذية وبعض مستلزمات الخيل والإبل.

٢ - ٧ - الحدادة والصياغة:

امتهن هذه الحرفة أشخاص يتميزون بمعرفة جيدة بطريقة الحدادة ويطلق عليهم محليا "الصناع"[٨٦]،

---

(٨٥) المرجع السابق، ص٤٩.

(٨٦) المرجع السابق، ص٢٩.

وتمارس هذه الحرفة في معظم مناطق المملكة، ومن مصنوعاتها الدلال والقدور والسكاكين ومحاميس القهوة ومختلف الأواني المنزلية وبعض الأسلحة مثل السيوف والخناجر. والزنود والمخارز والملاقيط والأخلة والأوتاد التي يستعملها البدو لتثبيت النول آلة السدو والحياكة. كذلك عرفت المملكة صناعة الحلي من ذهب وفضة ونحاس كالأساور والخواتم والحجول والقلائد وغيرها من الحلي.

٢-٨- السدو والحياكة:

لاعتماد السكان على الثروة الحيوانية فقد استغلوا أصوافها في حرفة السدو والحياكة، لعمل الكثير من احتياجات سكان الصحراء الضرورية، مثل بيوت الشعر والمفروشات وأوعية الحفظ كالخروج والمزاود والعدول وغيرها، ولهذه الحرفة انعكاسات ظاهرة على منتجاتها، كما أن المادة الخام المستخدمة في الصناعة لها أثرها أيضا.

ونظراً لتميز المملكة العربية السعودية بالتنوع الجغرافي المتمثل في البيئات الصحراوية والجبلية والساحلية، فقد انعكس هذا التنوع على الحرف والصناعات فيها، إضافة إلى تنوع الخامات الطبيعية، لذا فقد تعددت الحرف والصناعات في كل مناطق المملكة، وقد تركزت بعض الحرف والصناعات بصورة أكثر في مناطق معينة منها، واشتهرت بهذه الحرف ومنتجاتها، ويعود ذلك لطبيعة المنطقة ونشاط سكانها واحتياجاتهم من هذه الصناعات، إضافة إلى ما توفره البيئة المحيطة في كل منطقة من المواد الخام للصناعة.

ففي المنطقة الوسطى تسود صناعة الخوصيات والخرازة ومنتجاتها الجلدية، والنجارة و منتجاتها الخشبية، وحرفة النسيج والحياكة ومنتجاتها.

وفي المنطقة الشرقية ازدهرت الكثير من الحرف والصناعات اليدوية، نتيجة للموقع الجغرافي كمنطقة ساحلية، ومن تلك الحرف صيد الأسماك والربيان وجمع اللؤلؤ. إضافة لحرفة الزراعة والتجارة وصناعة الخوصيات والفخار والصياغة والنسيج والحياكة.

أما المنطقة الغربية التي تضم مدينة مكة المكرمة فتعتبر من أهم مدن المملكة لوجود المسجد الحرام ومهبط الوحي، وكذلك المدينة المنورة التي تشتهر بالنشاط الزراعي، لكثرة النخيل والبساتين الزراعية، وأيضا مدينة جدة التي تعتبر أهم المدن التجارية فالنشاط التجاري هو السائد في المنطقة إضافة إلى صناعة

الحلي والأحجار الكريمة وصناعة الخزف والفخار وصناعة الخوص، وكذلك حرفة النجارة وصيد الأسماك.

وفي المنطقة الجنوبية ارتبطت الحرف والصناعات بالأنشطة الاقتصادية للسكان، وتزخر المنطقة بالكثير من الحرف والصناعات وأهمها صناعة الحلي الفضية والأسلحة البيضاء وصناعة الخوصيات و صناعة النسيج والحياكة وصناعة المنتجات الجلدية وصناعة الفخار والنجارة.وسادت واستمرت الصناعات على هذا الوضع التقليدي البسيط حتى اكتشاف البترول في المملكة العربية السعودية، ودخول صناعة الزيت، التي فتحت الأبواب أمام الأنواع الأخرى من الصناعات المتعددة[٨٧]، حيث شمل التطور جميع شؤون الحياة، مما اضطر السكان لمواكبة هذه التطورات السريعة وتبدل طابع الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، واستخدم السكان الوسائل المعيشية الحديثة، وتحسنت الأحوال المعيشية في كافة مناطق المملكة وحدثت طفرة حضارية، كادت تمحو معالم الحياة القديمة. وقد انعكس هذا على الحرف والصناعات التي يمتهنها السكان وعزفوا عنها إلى الصناعات الحديثة والبضائع الجاهزة والمستوردة التي زخرت بها الأسواق. ومن هذه الحرف حرفة السدو والحياكة موضوع الدراسة وهي من الحرف التي انتشرت بين نساء البادية في المملكة.

وتعرضت الحرفة لتغيرات جذرية تبعاً للتغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المملكة، والتي أدت إلى تغيرات في احتياجات السكان وخاصة سكان البادية مجتمع الدراسة، نتيجة لتحسن الأوضاع المعيشية وارتفاع معدل الدخل وزيادة النمو الاقتصادي والاجتماعي. ولم يعد البدو يعتمدون على الحيوانات كمصدر أساس، نظراً لحصولهم على موارد ثابتة من العمل في الوظائف الحكومية، مما أدى إلى اضمحلال وتدهور الكثير من الحرف والصناعات ومن بينها حرفة السدو والحياكة.

---

(٨٧) - El. Mallakh Ragaei, Saudi Arabia Energy, Develomental planning and industrialization, p.1.

الفصل الثاني

الدراسة الميدانية

- تمهيد
- أهداف الدراسة
- منهج الدراسة
- الدراسات السابقة
- مجتمع الدراسة وعينتها
- جمع البيانات

تمهيد:

عرفت الجزيرة العربية منذ القدم تنوعاً في بيئاتها انعكس على أنشطة السكان وتعدد المهن والحرف التي يزاولونها. ومن هذه الحرف اليدوية حرفة السدو وحياكته، والتي تعد من الصناعات التقليدية التي ظهرت وانتشرت بين نساء البدو في الجزيرة العربية، والتي لعبت دورا هاما في حياة المجتمعات البدوية لتناسبها مع ظروف البيئة الصحراوية القاسية، كما أنها تناسب طبيعة حياة البدو المعتمدة على الترحال الدائم مما جعلهم يكتفون بما خفَّ حمله من المتاع، والمواد الخام الأولية لهذه الصناعة من موارد البيئة فالحيوان كالأغنام والماعز والإبل تعتبر من موارد البيئة التي اعتمد عليه الإنسان في إنتاج تقنياته التقليدية. وتتضح هنا علاقة قوية بين الإنسان وبيئته، فصوف الأغنام وشعر الماعز ووبر الإبل المغزول محليا يُشكل مادة لصناعة محلية سدت حاجة أساسية للسكان عبر فترة زمنية طويلة.

ولعل تبدل حال البادية وتطور الحياة يحتم دراسة هذه الصناعة دراسة علمية تساعد على تفهم جوانب متعددة من التراث الشعبي في المملكة العربية السعودية، حيث إن التراث يشكل بعدا تاريخيا وحضاريا يلقي بظلاله على تكيف الإنسان مع بيئات متباينة، ويقدم زاداً يتمثل في محاولة الإنسان التعايش مع الطبيعة الصحراوية في المجتمع البدوي. وقد أحدثت القفزة الحضارية الهائلة التي أعقبت اكتشاف النفط تغيراً هائلاً في المجتمع السعودي، وبدأت طفرة اقتصادية كادت أن تطمس ذلك التراث وتؤدي به إلى الاندثار، خاصة الحرف اليدوية كالحرفة موضوع هذه الدراسة. ويرجع ذلك لأسباب عدة منها تحول المجتمع إلى الصناعات والبضائع الجاهزة المستوردة والمحلية، واستخدام الآلات الحديثة محل الأدوات القديمة والنول التقليدي، مما كان له أوضح الأثر في اختفاء الإبداع الفني للمسات اليدوية المحلية في هذه الصناعة، التي تعكس الذوق الرفيع والخبرة العميقة.

إن حرفة السدو والحياكة التقليدية في المملكة العربية السعودية وما تشتمل عليه من تقنيات صناعية وأشكال وزخارف، تعد مادة ثقافية تعكس بشكل مباشر ما لدى القائمين على هذه الحرفة من قدرات تقنية ومهارات فنية تجلت في براعتهم في العناية بالنسيج وزخرفته، باعتباره من ضروريات حياتهم.

وقد كانت هذه العناية والاهتمام من أهم الأسس التي قامت وتطورت عليها صناعة السدو والحياكة قديماً. واستمرت حتى وصلت إلى درجة عالية من الإتقان والإبداع الفني.

وبقيت هذه الصناعة مرتكزاً لتأمين المأوى والملبس والمفروشات لسكان البادية، حيث تتنافس القبائل عامة وسكان البادية خاصة في صناعتها بإتقان وإبداع لسد تلك الاحتياجات الضرورية العديدة. وقد كانت المادة الخام الأساسية لهذه الصناعة مادة تعتمد عليها منتجات السدو وذلك لوفرتها وسهولة الحصول عليها.

وكان العرب قبل الإسلام يحيكون الصوف ويعرفون طرق الغزل والحياكة، وتطورت هذه المعرفة والعمل بعد الإسلام، واستمر هذا التطور على مر العصور الإسلامية حتى وصل في الجزيرة العربية إلى بداية الدولة السعودية. وقد برعت النساء في المملكة العربية السعودية في نسج وغزل الصوف وبكثرة الإنتاج، فكانت النساء تغزلن الصوف في ظل البيت وعند مصادر الماء وفي المراعي. وتركز البادية على إنتاج بيت الشعر وما يتبعه من أثاث وحاجيات مهمة فقط. أما في الحاضرة فكانت هذه الصناعة تقوم على عاتق نسبة ضئيلة من الرجال لسد حاجاتهم من البسط والفرش وبعض الملابس الرجالية. وقد وجدت في المملكة العربية السعودية أعداد كبيرة من هذه المنتجات التي شكلت جزءاً من تراثها الشعبي، متوفرة في المتاحف العامة والخاصة وضمن مجموعات خاصة بالأفراد، إضافة إلى ما تحويه الجمعيات الخيرية والأسواق الشعبية في المملكة. وتمتلك المملكة العربية السعودية ثروة حيوانية كبيرة ساعدت على توفر المادة الخام اللازمة لهذه الحرفة، إلى جانب الحاجة لهذه الصناعات في المجتمعات البدوية في المملكة.

وكان لابد من دراسة هذه الحرفة في مجتمعاتها ومعايشتها ومراقبتها والبحث في محيطها البيئي والاجتماعي وتتبع مراحل العمل بالمشاهدة الدقيقة ومراقبة عمليات التصنيع تحقيقا لاهداف هذه الدراسة. وتزخر هذه الحرفة بتراث مميز من العادات والتقاليد حتى صارت لها تقنياتها وأساليبها التي تتوارثها الأجيال،لاسيما في محيط المحترفات من النساء. ويلاحظ أنه في العقود الأخيرة بدأ تقاعس العاملات في هذه الحرفة حيث انتقلن من البادية إلى الحاضرة فَسَكَنَّ المنازل في المدينة بدل بيوت الشعر في البادية. وكان لهذا أثر سلبي في تقهقر الحرفة بل وفي انكماشها ، ولعل السبب الحقيقي في ذلك هو حاجة المجتمع

إلى الوظائف الحكومية وانصراف الأبناء إلى المدارس. ولم تعد الفتاة تتعلم من والدتها أسرار هذه الحرفة بحب وقناعة لتتمكن من الإبداع فيها وذلك بسبب اتجاهها للتعليم والعمل مما قلص فرصة تعلمهن من ذويهن أسرار الصنعة وهذا الأمر يقودنا إلى ضرورة توثيق هذه المهنة قبل اندثارها، على أن تبدأ الخطوة الأولى بالاستفادة من النساء المتقنات لهذه الصناعة لكونهن مصادر مباشرة موثوقة لأي دراسة علمية في هذا المجال.

وتعمد هذه الدراسة إلى الكشف عن ملامح صناعة السدو والحياكة وتسجيل مراحلها، لكونها تعكس بعض الثقافات المادية التي شكلت جزءاً من التراث الشعبي في المملكة. وهذه الصناعة تتباين من ناحية مصدر المادة الخام، وأساليب الصناعة، والأدوات المستخدمة، وإمكانية تطويرها، ومدى إقبال الناس عليها، والحرفيين ومستوياتهم، والأشكال والوظائف. ومن ناحية أخرى فإن هذه الصناعة لا تزال تُمارس عند بعض الجماعات البدوية بينما البعض الآخر عزف عنها واتجه نحو الصناعات الحديثة.

وحيث إن المملكة العربية السعودية تزخر بتنوع وتباين موروثها المادي، لذا يجب دراسته والاهتمام به لكونه جزءاً مهماً في الحياة الشعبية وخاصة صناعة السدو والحياكة والتي لم يعكس الباحثون والمهتمون في مجال التراث دورها، مع العلم أنها سدت حاجة أساسية في حياة المجتمع السعودي ومجتمع الجزيرة العربية بوجه عام، بل وعكست جوانب هامة في تكيف الإنسان مع بيئات متقلبة عبر الزمان والمكان، حيث نجد أن الحرفة لم يسبق دراستها من قبل أي باحث من الدارسين أو الأكاديميين كموضوع منفرد. ولعل النهضة التنموية التي تشهدها المملكة تدفع بجزء غير يسير من ذلك الجانب التراثي إلى الزوال، لذا فإن هذه الصناعة التقليدية تتطلب دراسة علمية تساعد على تفهم جوانب متعددة من التراث الشعبي في المملكة العربية السعودية.

ورغبة في العمل على توثيق بعض عناصر التراث الشعبي، عمدت الباحثة إلى اختيار حرفة السدو والحياكة، لكونها تبرز مهارة العاملين والعاملات في إعدادها بدءاً من انتقاء المادة الخام إلى طرق ووسائل جمعها وتجهيزها وإعدادها في مختلف مراحل الصناعة، وإبراز جوانبها التقنية والفنية. ومن الأسباب التي دعت الباحثة إلى اختيار موضوع الدراسة أيضاً عمليات تحول المجتمعات البدوية إلى مجتمعات حضرية

بحيث أدى هذا الأمر إلى عرقلة استمرارية هذه الحرفة التقليدية، مما يوجب دراستها والعناية بها عناية متكاملة على أسس علمية لكي نضمن استمراريتها وتطورها في إطارها البيئي متى ما جاءت الحاجة إليها.

وتعد هذه الدراسة محاولة لتوثيق هذه الحرفة قبيل اندثارها حيث إن هذه الحرفة لا تزال تؤدي دوراً مهماً في حياة السكان في المملكة العربية السعودية وخاصة سكان البادية. ونأمل أن تساهم هذه الدراسة كمثيلاتها في هذا المجال بما يوثق الجانب التراثي في حياة مجتمعنا ويثري الدراسة العلمية عامة.

ولابد من التعرف على المعنى الحرفي لعبارة " تقليدية " التي وردت في عنوان الدراسة وهل تنطبق على وصف مادة الدراسة، حتى يمكننا التمييز بين التقنيات التقليدية والتقنيات الحديثة.

يعرف قاموس "وبستر" "التقليدية" بأنها استمرارية ثقافية تنتقل في شكل سلوك اجتماعي مستمد من تجارب الماضي وتعمل على تشكيل الحاضر، واعتقاد يُرسخ عبر عمليات متصلة ممارسة يتقبلها المجتمع كحقيقة تاريخية"(١). وفي قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية تطابق بين عبارة "تقليد" وعبارة "تراث" وأوْضَحَ أن التقليد هو " معتقد أو معتقدات موروثة اجتماعياً ومقبولة وتشمل كل عنصر ثقافي ينتقل عبر الزمن ويحقق درجة من الدوام والاستمرارية"(٢) . أما قاموس علم الاجتماع فقد طابق بين عبارة "تقليد" وعبارة "تراث" ايضاً فذكر يطلق هذا المصطلح على انتقال بعض المعتقدات وأنماط السلوك والأنشطة من جيل إلى جيل آخر، ويطلق على بعض العناصر الثقافية التي تنتقل من جيل إلى آخر، وعلى أنماط السلوك التي تحظى بالقبول من جانب الأعضاء"(٣).

ومن هنا فإن كل مادة محلية تلبي احتياجات المجتمع، وحظيت باستمرارية، وتوارثها أعضاؤه وتناقلوها من جيل إلى جيل فهي تقليدية.

---

(١) webster Dictionary (Deluxe Encydopedia) New york , 1991, p, 1046.

(٢) الصالح، مصلح ، قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية ، عالم الكتب، الرياض ١٩٩٩م، ص٥٦٦

(٣) غيث، محمد عاطف، قاموس علم الأجتماع، دار المعرفة ، القاهرة ، ١٩٩٥م، ص٤٨٩.

وحرفة السدو والحياكة مادة الدراسة، لبّت احتياجات ضرورية في حياة مجتمع البادية وحظيت باستمرارية، وتوارثها اعضاء هذا المجتمع جيل بعد جيل، فهي حرفة تقليدية.

١ - أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق ما يلي:

أ - دراسة جانب الثقافة التقليدية الخاص بحرفة السدو والحياكة وتحليله وتوثيقه.

ب - تحديد شرائح المجتمع التي تمارس هذه الحرفة والبحث في أسباب تركيز مزاولة النساء لها دون الرجال.

ج - دراسة الأساليب الصناعية والوسائل التقنية المستخدمة، والتعرف على أدوات الصناعة وكذا المنتجات، ومدى تباين هذه العناصر بين مناطق المملكة.

د - دراسة التصاميم الفنية والزخارف لإبراز أصالتها الفنية ودلالاتها والتعرف على جذورها.

ز - كشف دور المؤثرات الحديثة على الإنتاج التقليدي في الاستمرارية أو الاندثار.

ح - الإلمام بما تعكسه حرفة السدو والحياكة من ناحية اقتصادية واجتماعية وفنية ووظيفية في حياة المجتمع.

و - تلمس بعض الوسائل الناجحة لتوعية المجتمع بأهمية هذه الحرفة وحثهم على المحافظة عليها وإبراز دورها.

وبطرح التساؤلات الخاصة بهذه الأهداف سوف نصل بإذن الله إلى معرفة تقنيات ووسائل وأدوات حرفة السدو لدى نساء البادية في مناطق المملكة، والمواد التي تتكون منها، وطرق إنتاجها والأشخاص الذين يقومون بها.

٢ - منهج الدراسة:

يستند منهج هذه الدراسة على تغطية بعض ما كتب عن هذه الحرفة في كتب التاريخ والتراث وما ورد في الشعر الشعبي والروايات التاريخية. ثم نعرج إلى المعلومات التي توردها الروايات الشفهية الموثوقة. نعمل بعد ذلك على اختيار عينة عشوائية من العاملات بهذه المهنة من كل منطقة من مناطق المملكة عبر دراسة ميدانية لإبراز التباين (إن وجد) من مختلف جوانب هذه المهنة. حيث تقوم الباحثة خلالها بإجراء مقابلات مكثفة عبر استبانة مفصلة (ملحق ١) يكشف جوانب من شخصية العاملة بالمهنة ويورد ما أمكن، كل ما يتعلق بمهنة السدو والحياكة من مختلف جوانبها: مادتها الخام وتقنياتها وأشكالها وزخارفها وتسويقها واستخدامها ونحو ذلك، كل ذلك وغيره سعيا وراء تحقيق أهداف هذه الدراسة.

وبما أن هذه الدراسة يمكن أن تصب في الإطار الاثنواركيولوجي كمنهج قدم الكثير لفهم المادة الأثرية فان ما ينحو به هذا البحث يمكن إلى جانب أهدافه العامة أن يقدم إجابات لأي مادة أثرية في مجاله.

لقد ظهر المنهج الإثنوأركيولجي خلال العقدين السابع والثامن من القرن العشرين، للاستفادة من الدراسات الأثنوغرافية التي عرفها علم الآثار منذ زمن بعيد، لتسخيرها لفهم طبيعة المجتمعات القديمة عبر دراسة أوجه الحياة المادية في المجتمعات التقليدية، ويشمل ذلك عناصر الثقافة المادية من أدوات ومستلزمات ونحوها، إضافة إلى العناصر المعنوية من عادات وتقاليد(٤).

"وتعرف الإثنوأركيولوجيا بأنها منهج آثاري وإنثروبولوجي يوظف في دراسته عناصر الثقافة المادية في التجمعات المعاصرة بمستوياتها الثقافية المختلفة، وتتناول الدراسة عناصر الثقافة المادية في إطاريها البيئي والاجتماعي، وذلك بجمع المعلومات عن طريق المشاهدة لأفعال الناس اليومية في سياقها المتحرك. ويتابع الباحث فيها العنصر المادي من لحظة تكوينه الأولى حتى نهايته، عندما يتحول إلى بقايا مخلفات نجدها

---

(٤) kramer, C, Ethnoarchaeology, Columbia University Press, New york, 1979. pp, 140.

عادة في ألاماكن التي عاش فيها الناس"(٥).

ومن البديهي النظر في إمكانية القيام بدراسات إثنوأركيولوجية في المملكة في مختلف المجالات، إلا أنه يتعين علينا الإشارة إلى بعض الحالات التي تتوفر فيها فرص أكبر لنجاح تلك المحاولات. ويلاحظ أنه يوجد في بعض مناطق المملكة ما يشير إلى الاستمرارية الثقافية التي تعبر عن نفسها في عدد من عناصر الثقافة المادية مثل: العمارة التقليدية، الرعي، تصنيع الأواني الحجرية، والفخارية، والمعدنية، والنسيج، والخوص، والأسلحة وغيرها.

وعلى الرغم من أن أساليب الحياة الحديثة ومؤثراتها قد شملت كل أنحاء المملكة إلا أن هناك إمكانية دراسة بعض الحرف الشعبية في أطرها المحلية مما يسمح بالحصول على معلومات قد تفيد البحث الآثاري، وكما هو الحال في أماكن أخرى يمكن أن يوجه العمل الميداني بعد توفر شروطه الموضوعية نحو نوعين من الدراسة، الأولى: دراسة حرفة تقليدية واحدة أو عددا منها يتكامل في عمليات الإنتاج وفي الوظائف.والثانية: دراسة متكاملة تشمل كل عناصر التراث المادي في سياقه البيئي والثقافي، كالعمارة السكنية التقليدية ومحتوياتها، أو مجتمعات الرعي وثقافتها المادية (٦) .

وقد أثبت المنهج الأثنوأركيولوجي جدواه وفعاليته في الدراسات الآثارية في الكثير من مناطق العالم ولأنواع من المواقع تعود إلى مجتمعات عرفت سبل معيشة مختلفة. فقد قادت إلى نتائج جيدة في دراسة المجتمعات التي ارتكز اقتصادها على الزراعة ومجتمعات الحرف التقليدية والموروثات الشعبية والعمارة وغيرها(٧) .

وبما أن المادة موضوع الدراسة هي مادة تراثية فإن هذا المنهج هو الأفضل، لتوثيقها ولأنها في

---

(٥) الأمين، يوسف مختار، " الاثنوأر كيولوجيا وإمكانية تطبيقها في دراسة الحرف الشعبية في المملكة العربية السعودية"، الآثار في المملكة العربية السعودية حمايتها والمحافظة عليها، وكالة الآثار والمتاحف، الرياض، ١٤٢٠هـ.ص٥.

(٦) المرجع السابق، ص٩.

(٧) Kramer, C.1979 op.cit. pp140-163.h

طريقها للاندثار حال الكثير من عناصر التراث الشعبي، وكذلك لفهمها من الناحية التقنية والوظيفية.

وتخص هذه الدراسة من الإجراءات ما يلي:

أ- إعداد استبانة معلومات لجمع البيانات عن الناسجات في مناطق الدراسة.

ب- إجراء مسح أولي لمناطق صناعة السدو والحياكة التقليدية في المملكة وذلك بالقيام بزيارات ميدانية للمجموعات المختارة من الناسجات وملاحظة ممارستهم للحرفة.

ج- القيام بزيارات ميدانية للجمعيات الخيرية النسائية والمتاحف الإقليمية والمجموعات الخاصة والأسواق الشعبية في مناطق الدراسة.

د- انتقاء عينة الدراسة بعد إجراء مسح أولي في مناطق المملكة وتحديد مناطق من بينها وإجراء الدراسة عليها.

هـ- تتبع طرق العمل في مراحلها المختلفة وتوثيقها.

و- حصر أنواع الأدوات والمنتجات لحرفة السدو والحياكة واستخداماتها.

ز- إجراء دراسة وصفية لنماذج منتجات الحرفة ودورها في البيئة.

ح- دراسة العناصر الزخرفية للحرفة وتوضيح أنماطها وأساليبها.

ط- تصوير المصنوعات والأدوات وتتبع طرق العمل في مراحلها المختلفة وتوثيقها.

ي- عمل رسومات تفصيلية لأدوات الصناعة وللعناصر الزخرفية لتوضيح أنماطها وأساليبها.

٣ - الدراسات السابقة:

قامت الدارسة باستعراض ما أمكنها الاطلاع عليه من الدراسات السابقة التي تناولت حرفة السدو والحياكة، غير أنها لم تعثر على أية دراسة مفصلة مترابطة لهذه الحرفة تعادل الدور الاقتصادي والاجتماعي الذي تؤديه، سوى إشارات من بعض المؤلفات والمقالات، يتناول بعضها جزئية معينة من موضوع البحث في حين يتناول بعضها الآخر الموضوع بشكل عام دون الذهاب إلى التفاصيل. لذلك سوف تتناول الباحثة هذه الدراسات والبحوث بالقدر الذي يخدم موضوع هذا الدراسة. ومن بين تلك الدراسات:

١) دراسة قام بها الباحثان دونالد كول وسعد الدين إبراهيم (٨) عن بدو المملكة العربية السعودية وقد تناول الباحثان دراسة البدو في المملكة من حيث عددهم طبقا لآخر تعداد رسمي أجري في المملكة، وإنهم يمثلون التجمع البشري القبلي الرئيس للمجتمع السعودي، وأن أغلب القيم السائدة في المجتمع العربي ترجع إلى القبائل المنتشرة في الجزيرة العربية، كما بينت الدراسة كيفية استخدام البدو في تنمية وتحديث المجتمع السعودي، وذلك بتوطينهم ثم تعليمهم ثم تدريبهم مهنيا واجتماعيا. ومن أهداف هذه الدراسة التعرف على المجتمع البدوي من حيث حاجاته ومتطلباته فقد تمت دراسة عينة من البدو بلغت أكثر من مائتي حالة تعيش في شمال وشرق وغرب ووسط وجنوب وغرب المملكة حيث اتضح من خلالها إن البدوي جزء لا يتجزأ من القبيلة وأنه ليس له وجود مستقل خارج جماعته، وذلك نتيجة عوامل بيئية واجتماعية. كما بينت أن البدو يملكون ثروة حيوانية كبيرة، كما تناولت الدراسة الظروف الاقتصادية للبدو من ناحية المستوى المعيشي، والحالة التعليمية، والحالة الصحية. وقد أوضحت الدراسة بجلاء معنى البداوة كأسلوب حياة و كتنظيم اجتماعي. ومما لاشك فيه إن الدراسة أسهمت في توضيح بعض معالم الحياة في المجتمعات البدوية (مجتمع الدراسة). إلا أنها لم تتعرض للتقنيات التقليدية والوسائل المعيشية للبدو.

---

(٨) كول، دونالد و إبراهيم سعد، بدو المملكة العربية السعودية، مركز البحوث الاجتماعية، الجامعة الأمريكية بالقاهرة، ج١، العدد الخامس ابريل، القاهرة، ١٩٧٨م.

٢) دراسة قام بها الباحث عبدالله بن محمد الخريجي(٩) عن العوامل المساهمة في فهم عمليات التوطين وحالة البدو ومدى انسجامهم في مناطق التوطين، وقد ركزت الدراسة على بحث أثر التوطين وتنمية البادية ووصفها في إطار أهداف الملك عبد العزيز التي أدت إلى تخفيض نسبة البداوة من ٦٠٪ في مرحلة توحيد المملكة إلى أقل من١٠٪ في الوقت الحالي. كما سلط الباحث الضوء على الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية لظاهرة التوطين، وبين الباحث معنى التوطين والتهجير وأثر كل منهما على المجتمعات البدوية. وأوضح الباحث أن تنمية البادية السعودية ترتكز على بناء القوة الذاتية للمجتمعات البدوية لتصبح قادرة على النهوض التلقائي دون جهد. ومع أن هذه الدراسة متكاملة من ناحية العرض والشمول وتناولت مجتمع الدراسة، إلا أنها لم تعرض للحرفة موضوع الدراسة.

٣) دراسة قام بها الباحث رودجر وبستر(١٠) عن العرب البدو في جنوب وجنوب شرق الجزيرة العربية للبحث في تطور نشأة الحياة البدوية. وقد تناولت الدراسة الكثير من المواضيع الهامة ومنها مقارنة بين التقسيمات الشمالية والجنوبية للثقافة البدوية، وبينّ فيها الأنواع المختلفة للسكن وطريقة التحول من نوع إلى آخر وما يتبع ذلك، كما بين أن هذه الاختلافات في نوعية السكن تعود لعدم وجود خلفية عن أي نموذج للفن المعماري لدى البدو. واتضح من خلال الدراسة نشأة وتطور السكن عند البدو الجنوبيين ومن ذلك التطورات التي مر بها تصمييم الخيمة. ثم تطرقت إلى أنواع من المساكن عند بعض القبائل والمجتمعات المستقرة. بعدها تناول الباحث بيت الشعر وتوفر مادته الخام وذكر التشابه في أدوات ووسائل نسيج بيت الشعر بين قبيلة الواهبة وبدو نجد مع وجود اختلاف بسيط في بعض المسميات وطريقة التجميع والإنشاء. كذلك تناولت الدراسة بعض التقنيات عند البدو واستخداماتها وتوفر موادها الخام في البيئة، إضافة إلى ذكر تطورات ثقافة مجتمعات الدراسة، كما تناول دور الجمل في هذه المجتمعات وقد تناول المادة الخام للحرفة (موضوع الدراسة) لكنه لم يفصل فيها بما يهدف إليه هذه الدراسة. إلا أن الدراسة أعطت الكثير من المعلومات عن مجتمع الدراسة.

---

(٩) الخريجي، عبدالله محمد، توطين البدو في المجتمع العربي السعودي في عهد الملك عبد العزيز، بحث مقدم لمؤتمر المملكة العربية السعودية في مائة عام، ١-٧ شوال، الرياض ١٤١٩هـ.

(١٠) Webster, M. Roger " The Bedouin in southern and southeastern Arabia, the evolution of Bedouin life reconsidered," Seminar for Arabian studies, Vol 22 ,1992.

٤) دراسة قام بها الباحث مانع بن قراش الدعجاني (١١) عن التقنيات التقليدية في البيئة البدوية، وهي دراسة عن البادية تناولت جزءاًمن الموضوع، حيث طرق الباحث جوانب متعددة من التراث المادي في الجزء الشمالي الشرقي من المملكة. وقدم خلالها معلومات توثيقية عن ملامح متعددة من تراث المنطقة أورد جانبا من التقنيات التقليدية التي يحتاجها الكثير من الناس. وهي دراسة مفيدة في مجال التراث الشعبي بينَّ الباحث فيها تقنيات حرفة السدو، ويتفق مع ما ذكرناه من أن التقنيات التقليدية أصابها الشلل في بنائها الفعلي ووظائفها بفعل الطفرة الاقتصادية.

٥) دراسة للباحث محمد إبراهيم الميمان (١٢) تناول فيها مفردات التراث الشعبي في البيئة السعودية. وقد تضمن البحث بعض مكونات بيت الشعر وقد أسهمت هذه الدراسة في توثيق بعض معالم تراث المجتمع السعودي دون توضيح أصالة نسيج هذا البيت وأشكاله وأنواعه والعادات المتعلقة به على النحو الذي يحاول هذا البحث القيام به.

٦) دراسة أجراها عبد الرحمن السويداء (١٣) تناول فيها سكان نجد من عدة نواحي كأنشطة السكان والحرف والفنون الشعبية، وتطرق إلى أعمال الرجال وأعمال النساء ومن ضمنها الغزل، وذكر بشكل مختصر الأدوات الخاصة بحرفة السدو في نجد إلا أنه لم يفردها بشيء من الخصوص ولكن معلومات الكتاب تفيد في توضيح بعض المصطلحات.

٧) دراسة محمد القويعي(١٤) حيث تعرض لجوانب مختلفة من تاريخ مأثوراتنا الشعبية في ثلاثة أجزاء، تطرق فيها لأسماء شعبية عديدة من أدوات وألعاب شعبية تناولها بالشرح المبسط، من ضمنها المغزل والمادة الخام بعد غزلها وصباغتها وبعض أدوات الحرفة بهدف التوثيق لكنه لم يتعمق في موضوع

---

(١١) الدعجاني، مانع قراش، التقنيات التقليدية في البيئة البدوية، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٤هـ.

(١٢) الميمان، محمد إبراهيم، من مفردات التراث الشعبي، إصدارات لجنة التراث الشعبي والفنون الشعبية بالجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، ط١، الرياض، ١٩٨٨م.

(١٣) السويداء، عبد الرحمن بن زيد، نجد في الأمس القريب، دار العلوم، الرياض، ١٩٨٣م.

(١٤) القويعي، محمد عبد العزيز، تراث الأجداد ودراسات لجوانب مختلفة من تاريخ مأثوراتنا الشعبية، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤١٥هـ.

ومحتوياتها. والكتاب وصف البيئة البدوية وصفا دقيقا تتبع فيه أوجه النشاط الاقتصادي و المختلفة في فترة تواجده لكي يبين بالتفصيل أهم الملامح البيئة البدوية، وهذه أمور لها علا كما أنها تتضمن كماً من المعلومات تفيد في كثير من الجوانب التي تعالجها هذه الدراسة.

١٢) وفي دراسة غازي شعبان حول صناعة نسيج المضارب في قرية شحيم(١٩)، تناول الباحث الجزيرة العربية والشام، وقسمهم إلى قسمين بدو وحضر، و ذكر الباحث بعض تقنيات وبينَّ أن سكن البدو هو الخيام، ثم تحدث عن أنواع متعددة لهذه الخيام، وبينَّ دور المرأة في المسكن، وبينَّ أن البدو يشترون هذا النسيج جاهزاً لأن صناعته تتم في المدن وبأدوات. يتطرق الكاتب للتقنيات التقليدية المستخدمة في إنتاج هذا المسكن.

١٣) يعرض كتاب عبد المجيد أبو تراب(٢٠) أسرار المهن ماضياً وحاضراً، ويركز على الحر التقليدية عبر عرض تاريخي عن عدد من الحرف، والتعريف بها ووصف أدواتها. والكتاب عامة وصفية توثيقية، تضمن الكثير من المعلومات تفيد بعض أجزاء هذه الرسالة.

وهناك مؤلفات تتفق مناهجها مع جوانب كثيرة من هذه الدراسة وهي تهدف إلى التعريف بصن في الإطار العام لهذه الدراسة وتعتبر إثراء لها، وبالتالي فإنها تفيد في بعض جوانب المقارنة حرفة السدو في المملكة العربية السعودية ومنها:

١٤) الدراسة التي قامت بها رونا كرايتين عن الأساليب الفنية للحياكة البدوية وترجمتها عزة د تحت إشراف لجنة مؤسسة بيت السدو بالكويت.

١٥) دراسة ليوسف الشاروني[٢٢] استعرض في جانب منها حرفة السدو في عُمان وبين تفاصيلها.

---

(١٩) شعبان، غازي، صناعة نسيج المضارب من وبر الماعز في شحيم، الجامعة اللبنانية، معهد العلوم الاجتماعية، لبنان، ٧.

(٢٠) أبو تراب، عبد المجيد، أسرار المهن تاريخاً وحاضراً، مطبعة دمشق، ط ١، دمشق، ١٩٨٧.

(٢١) كراينن، رونا، السدو الأساليب الفنية للحياكة البدوية، بيت السدو، الكويت، ١٩٨٩ م.

(٢٢) الشاروني، يوسف، ملامح عمانية، رياض الريس للنشر، ط١، لندن، ١٩٩٠م.

١٦) دراسة لجبرائيل سليمان جبور[٢٣] تطرق فيها لحرفة السدو ومنتجاتها في بلاد الشام.

١٧) دراسة يوسف العدان[٢٤] حول الحرف والصناعات التقليدية في دولة الإمارات العربية المتحدة.

١٨) دراسة خولة المناعي عن حرفة السدو في دولة قطر[٢٥]، التي استعرضت فيها المواد الخام للحرفة والأنوال والعمليات التحضيرية للسدو، كما استعرضت الجوانب الجمالية لمنتجات السدو ووحداتها الزخرفية والمواد المستخدمة في صناعتها. وهناك دراسات أجنبية طرقت موضوع الدراسة من خلال تناولها لحياة البدو في المملكة العربية السعودية، لكنها تفتقر لدقة وكثافة المعلومات المتناولة لعناصر التراث المادي عند البدو وخاصة حرفة السدو والحياكة، منها:

١٩) دراسة Topham, John [٢٦] عن الحرف الشعبية في المملكة العربية السعودية ضمن كتاب يحوي فصلاً صغيراً تكثر فيه الصور الفوتوغرافية لبعض قطع السدو والتعريف بمصادرها، لكنه لم يوضح التقنيات التقليدية والمواد الخام والأدوات. ولعل هذه الصور تصلح لتوضيح أوجه الشبه بمثيلاتها في مناطق المملكة.

٢٠) دراسة Cole, Donald [٢٧] لقبيلة (آل مرة)، إحدى قبائل المملكة العربية السعودية في الربع الخالي، وقد تناولت تفاعل هذه القبيلة مع البيئة الصحراوية وتطرقت للبناء الإجتماعى للقبيلة، وتناولت الدراسة أيضا دور الجمل وعلاقته بالإنسان، إضافة إلى التطرق لعادة الكرم في القبيلة وكيفيتها، كما تناولت دور المرأة فيها ولكنها لم تفصل في صناعة السدو والحياكة.

---

(٢٣) جبور، جبرائيل سليمان، صور من حياة البدو في بادية الشام، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٨٨م.

(٢٤) العدان، يوسف، أياد من ذهب الحرف والصناعات التقليدية في دولة الإمارات العربية المتحدة، نادي تراث الإمارات، ط١، أبو ظبي، ٢٠٠١م.

(٢٥) المناعي، خولة، السدو في قطر، القيم الفنية والتقنيات التقليدية، مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون الخليجي، الدوحة، ط١، ٢٠٠٠م.

(٢٦) Topham.J Traditional Craft of Saudi Arabia (weaving – Jewelry – costume – Leather work – Basketry – Woodwork – Pottery – Metalwork.)Stacey International, London,1982.

(٢٧) Donald,CoLe. Nomads of the Nomads: the AL-murrah Bedouin of the Empty quarter, Chicago; company1975. dine publication

٢١) كتاب Mauger, thirry [٢٨] وهو عبارة عن سجل للرحلات التي قام بها الباحث في جنوب الجزيرة العربية، وصف فيها تضاريس المناطق التي زارها وسلط الضوء من خلالها على حرفة السدو وحياكته حيث تناول بعض أنواعه وأشكاله و ألوانه.

٢٢) كتاب للباحث Dostal, Walter وهو دراسة متخصصة للتراث المادي في منطقة عسير جاءت نتيجة لأعمال قام بها في المنطقة بالتعاون مع قسم الآثار والمتاحف بجامعة الملك سعود ، أوضحت الدراسة أن الثقافة العربية في شبة الجزيرة العربية تتعرض لتغير سريع وأن عناصرها المادية بدأت في الاندثار، وقد تناولت هذه الدراسة حرفة السدو والحياكة بشكل مختصر ضمن دراسة عامة عن الحرف التقليدية [٢٩].

٢٣) الدراسة التي قام بها Dickson H.R.P وترجمها محمد الدعمي [٣٠] حيث تناول الكاتب من خلالها وصفاً دقيقاً للخيمة البدوية وسلط عليها الضوء كسكن تقليدي. وقد تناول مستلزمات هذا السكن، كما تحدث عن أنواع الخيام وأجزائها وبين كيفية اختيار موقع نصب بيت الشعر حسب اتجاه الريح، كما بين التعاون بين أفراد العائلة في بناء البيت بتوجيهات من رب الأسرة، كما وضّح تقسيم بيت الشعر إلى أقسام ووظيفة كل قسم ومحتوياته . ولكنه لم يذكر كيفية إنتاج هذا البيت والمواد الخام التي يتكون منها وتوافرها في البيئة، إلا أنه يقدم مادة جيدة ذات صلة بموضوع البحث.

٢٤) ومن الدراسات ذات الصلة بمنهجية الدراسة رسالة دكتوراه قدمها الباحث أحمد بن علي الربيعان، بعنوان "السيوف والخناجر التقليدية في المملكة العربية السعودية" ورسالة أخرى للباحث هزاع بن سعد آل هزاع، بعنوان "الثقافة المادية للبدو الرعاة في عسير". وتعدان من الدراسات الأكاديمية المتميزة في

---

(٢٨) Mauger,T. Hommes Fleurs et verte Arabia, soufftes creation, Paris, 1988.

(٢٩) ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية: الأمين يوسف والراشد سعد ، ملامح من الثقافة التقليدية عسير(دراسة اثنوغرافية) مؤسسة التراث، الرياض، ١٤٢٢هـ.

(٣٠) دكسن، هـ.ر.ب، الخيمة البدوية ، طبيعتها ومتطلباتها ، ترجمة محمد الدعمي، مجلة المأثورات الشعبية، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربي، الدوحة، العدد الرابع، ١٩٨٦ م، ص ٦٦.

مجال الحرف التقليدية(٣١). فمنهجية البحث الميداني فيهما توضح الأساليب العلمية التي أتخذها كل منهما في التصنيف والتحليل والرسم والتصوير وأعمال التوثيق الأخرى، والإحاطة بكل الدراسات التي تناولت الموضوع، علاوة على قوائم مختارة للمراجع والمصادر القديمة والحديثة. والدراستان صورة للعمل الأكاديمي المنهجي الذي أفاد هذه الدراسة في مجال منهج البحث وإجراءاته و شموليته.

وهكذا نلاحظ أن الدراسات السابقة قد تناولت في معظمها موضوعات تتعلق بحرفة السدو والحياكة، إلا أن الباحثة تجد أن هناك الكثير من الاختلافات بين أهداف هذه الدراسة وأهداف تلك الدراسات السابقة الخاصة بحرفة السدو والحياكة في المملكة العربية السعودية. والتي ترى الباحثة في ذلك سبباً كافياً تبرر القيام بهذه الدراسة. وقد تمت الاستفادة من هذه الدراسات ومن غيرها من الدراسات وذلك أثناء تنفيذ الدراسة الميدانية، كما نورد العديد من الدراسات ذات العلاقة بموضوع البحث أثناء تنفيذه.

٤ ـ مجتمع الدراسة وعينتها:

تعد المرأة البدوية الناسجة هي المعنية بهذا الدراسة، لذلك فإن مجتمع الدراسة يتكون من الجماعات البدوية المنتشرة في مناطق المملكة، حيث اعتبرت الباحثة نساء البادية هن المصدر الأساس للتزود بالمعلومات الخاصة بالحرفة، وذلك لما لديهن من معرفة واضحة بعناصر هذه الدراسة. ونظراً للتشابه الكبير بين تجمعات البدو الرحل في مناطق المملكة الجغرافية، فقد اختارت الباحثة بعض تجمعات البدو كعينة للدراسة لتمثل مجتمع الدراسة في المملكة، ثم قامت الباحثة بزيارة لمناطق المملكة وهي المنطقة الوسطى والشرقية والغربية والجنوبية والشمالية. وقد أظهر حجم البداوة على المناطق الجغرافية للأعوام ١٣٩٤ـ ١٤٢٠هـ النسب المئوية التالية مقارنة بعدد السكان في كل منطقة(٣٢):

---

(٣١) الربيعان، أحمد بن علي، "السيوف والخناجر التقليدية في المملكة العربية السعودية"، رسالة دكتوراة غير منشورة مقدمة لقسم الآثار والمتاحف، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٢٢هـ. آل هزاع، هزاع بن سعد، "الثقافة المادية للبدو الرعاة في عسير"، رسالة دكتوراة غير منشورة مقدمةلقسم الآثار والمتاحف، كلية الآداب جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٢٤هـ.

(٣٢) السرياني، محمدمحمود، "السمات الديمغرافية للمجتمع السعودي"، وزارة الداخلية، مركز الأبحاث، ج٢، ١٤١٣هـ، ص٥١- ٥٣.

جدول رقم (١):

المنطقة	١٣٩٤هـ	١٤٠٠هـ	١٤١٠هـ	١٤٢٠هـ
الشمالية	٥٢ر٦	٥١ر١	٤٤ر٠	٣٨ر٢
الوسطى	٢٥ر٧	١٩ر٢	١٤ر٣	١٠ر٥
الجنوبية	٢٤ر٥	٢٢ر١	١٨ر١	١٤ر٧
الغربية	٢١ر٠	١٧ر٦	١٣ر٠	٩ر٦
الشرقية	١٠ر٠	٩ر٣	٦ر١	٥ر٢
المملكةعموماً	٢٥	١٩.٦	١٤.٩	١١.٣

وعليه، فإن مناطق المملكة تختلف اختلافا كبيرا في نسبة البداوة فمنذ ما يزيد عن ربع قرن كانت نسبة البدو الرحل في المنطقة الشمالية تصل إلى ٥٢ر٦ ٪ من حجم السكان، ربما لوجود المراعي والماء في الكثير من مساحتها. أما المنطقة الوسطى فيشكل البدو الرحل ٢٥ر٧ ٪ من مجموع سكانها. وتأتي المنطقة الجنوبية في المرتبة الثالثة حيث تصل نسبة البداوة فيها إلى ٥ ر٢٤ ٪ من إجمالي عدد سكانها. يلي ذلك المنطقة الغربية حيث تصل نسبة البداوة فيها إلى٢١٪. وفي آخر المناطق الجغرافية تأتي المنطقة الشرقية التي لا تتجاوز نسبة البداوة فيها ١٠٪ من إجمالي السكان. ويمكن القول إنه بعد مشروع توطين البادية في عهد الملك عبد العزيز اضمحل واقع البداوة إلى حد ما كأسلوب حياة في الواقع الاجتماعي المعاصر وبقي مفهوم البداوة كقيم وهوية ثقافية. ويتضح من الجدول (١) أعلاه التدهور الهائل والتدريجي في نسبة البداوة في كل مناطق المملكة. فخلال ربع قرن فقط انخفضت النسبة إلى ما يزيد على

النصف تقريباً مقارنة عما كانت عليه.

وحتى نتمكن من ضمان الدقة والشمول بقدر الإمكان في عينة الدراسة من حيث تمثيلها للواقع الفعلي للحرفة، فقد كان لزاماً على الباحثة تحديد المناطق التي يوجد بها البدو وأماكن استقرارهم حول القرى والهجر، لاختيار عينة البحث منهم، حيث أجرت عدد من الاستفسارات وسط تلك الجماعات التي لا تزال تعمل بالحرفة.

وتم اختيار عينة الدراسة بطريقة تسمح بمشاركة مختلف الناسجات،وتشمل كل المناطق السالفة الذكر، مراعية أن تكون ممثلة لمجتمع المملكة قدر الامكان. وقد أمكن حصر نحو ٢٠٠ ناسجة من كل مناطق المملكة منهن ناسجات عاملات لايزلن يقمن بالمهنة، وأخريات تركنها أما لكبر السن أو استعاضتهم بالمنتجات الحديثة. وكان التوزيع على النحو التالي: المنطقة الشمالية ٦٠ ناسجة، والمنطقة الوسطى ٥٠ ناسجة، والمنطقة الجنوبية ٤٠ ناسجة، والمنطقة الغربية ٣٠ ناسجة، والمنطقة الشرقية ٢٠ ناسجة، وقع اختيارنا على نحو ٥٪ منهن كعينة للدراسة تم توزيعهن على المناطق الخمس بطريقة التوزيع النسبي، بمعنى أن المنطقة التي لها أكبر عدد من سكان البادية تنال النسبة الأكبر من حجم العينة.

وقد ساعدت الدراسة الميدانية في المناطق التي شملها البحثعلى حصر هذه العينة من خلال الجمعيات الخيرية(٣٣)، وجمع معلومات من بعض أفراد المجتمع وعلاقتهم بالحرفة، معتمدة على الرواية الشفهية من كبار السن والحرفيات من نساء بعض القبائل. كذلك قامت الباحثة بزيارة ميدانية لمهرجان الجنادرية كجزء من المسح الميداني، وهو المهرجان الذي يعقد سنوياً بمدينة الرياض. ويعتبر أكبر تجمع لأصحاب الحرف الشعبية في المملكة، وقد ساعد هذا التجمع على تنشيط هذه الحرف، بما فيها حرفة السدو، وقد استطاعت الباحثة من خلاله أن تقف على بعض الناسجات المشاركات فيه، والتعرف على مناطقهن وأماكن تمركزهن، كما قامت الباحثة بالتردد على الناسجات في المنازل والأسواق الشعبية في مناطق الدراسة والاطلاع على ما هناك من الأدوات التي يعتمدن عليها لإنجاز العمل.

---

(٣٣) جمعية النهضة النسائية الخيرية بالرياض، جمعية الجنوب النسائية الخيرية بأبها، جمعية عبد الرحمن السديري الخيرية بالجوف، الجمعية الخيرية الصالحية بعنيزة.، جمعية الحرمين النسائية بالدمام. جمعية الخيرية بالمدينة المنورة.

وكن هؤلاء الناسجات من أُسر البدو الذين يترددون على أطراف القرى والهجر التي نشأت بعد عمليات التوطين، واستقروا حولها للاستفادة من الخدمات المتوفرة بها مثل المياه والوقود والأسواق ونحوها. ذلك مما أوجد علاقة بين هؤلاء البدو وسكان القرى، الأمر الذي سهل على الباحثة التعرف على أماكن الناسجات.

وقد أمضت الدارسة فترة الدراسة في التردد على الجماعات البدوية لجمع المعلومات عن موضوع الدراسة، لاقت خلاله بعض الصعوبات التي كانت متوقعة في مثل هذا النوع من الدراسات الميدانية مثل: وعورة الطرق وكثافة الرمال، وارتفاع درجة الحرارة، لاسيما أن الباحثة اختارت وقت الإجازة لجمع البيانات نظراً للظروف العملية لها ولزوجها المرافق لها.

لاحظت الدارسة اهتمام الجماعات البدوية بتربية الماشية من الإبل والضأن واعتمادهم عليها في توفير ما يحتاجون من الغذاء والسكن والري والمواصلات. وبما أن هذه الحيوانات تعتمد على موارد البيئة الطبيعية من الماء والعشب، فإن هذه الجماعات البدوية تتنقل باستمرار بحثاً عن هذه الموارد، فإن سقط المطر ظهر العشب وشبعت الماشية وتحسنت الأحوال الاجتماعية والاقتصادية، وإن شحت الأرض وسادها الجفاف استعد البدو للرحيل بحثاً عن هذه الموارد، وقد استعان البدو بأسواق القرى والهجر المجاورة لشراء الأعلاف لمواشيهم وبعض مستلزماتهم، مثل: المواد الغذائية والوقود وغيرها من الاحتياجات. كما استطاع البدو من خلال هذه الأسواق عرض وبيع منتجاتهم الغذائية المستمدة من حيواناتهم مثل السمن والجلود وقطع النسيج، فلم يعد البدو يستطيعون الاستغناء عن الأسواق القريبة.

أما بالنسبة لعينة الدراسة فقد شملت نساء من ١٠ سنين إلى ٨٥ سنة، حيث شملت العينة ناسجات مسنات عشن وشهدن الفترة التاريخية _مجال الدراسة_ كما أنهن يذكرن ما كان عليه حال هذه الحرفة في الماضي، كما تعرضن للمتغيرات التي طرأت عليها، بالإضافة إلى حرفيات شابات توارثن العمل بالحرفة وأتقنَّه بالممارسة.

٥- جمع البيانات:

سبقت الإشارة إلى أن موضوع حرفة السدو والحياكة، لم يحظ بدراسة موثقة على أسس علمية

تساعد على كشف انعكاساتها في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع، إعتماداً على الدراسة المنهجية المتبعة في علم الآثار والمتصلة بعناصر الثقافة المادية، بهدف تحليل بعض عمليات التغير الثقافي وسرعتها واتجاهاتها ونتائجها، وذلك لتجنب سلبياتها وإبراز إيجابياتها ودعمها وتطويرها بما يساير النهضة الحديثة، وهو الأمر الذي استلزم إجراء الدراسة الميدانية لهذه الحرفة، إذ تعد الدراسة الميدانية المصدر الحقيقي لكشف خفايا هذه الصناعة، كما أنها تمثل وصفا لواقعها الفعلي. إضافة إلى المصادر المكتوبة ذات العلاقة بموضوع البحث التي قامت الباحثة بالاطلاع عليها والاستفادة منها في جمع البيانات اللازمة لصياغة الجانب النظري من الدراسة. كما يعول على هذه المصادر الشيء الكثير حين مقارنة وتحليل بيانات الدراسة الميدانية. وقد قامت الباحثة بزيارات متكررة للناسجات (عينة البحث) لمعايشتهم ومشاركتهم بعض أوجه النشاط لكسب ثقتهم قدر المستطاع، لغرض دراسة الحرفة والبحث في محيطها البيئي والاجتماعي وتتبع مراحل العمل بالمشاهدة الدقيقة ومراقبة عمليات التصنيع.

وقد اعتمدت الباحثة في جمع البيانات الحقلية على أداتين هما الملاحظة و المشاركة.

أ - الملاحظة: استخدمت هذه الدراسة الملاحظة المنظمة لدراسة حرفة السدو والحياكة وأهم عناصرها كأدوات الصناعة ومواد الخام وأسلوب صناعتها والأشكال والتصاميم. وقد اعتمدت الباحثة في الملاحظة على الدقة والعمق عند تسجيل الملاحظات الخاصة بالحرفة والطرق المتبعة فيها ودورها في مجتمع البادي.

ب - المشاركة: تعني المشاركة المتعمقة الهادفة في الميدان والتسجيل الدقيق لكل ما يحدث في الميدان، وقد شاركت الباحثة فعليا مع العاملات في خطوات ومراحل مختلفة أثناء تأديتهم لعملهن، حيث قامت الباحثة بتنظيف الصوف وإعداده للعمل، ومحاولة غزل الخيوط وبرمها، ومد الخيوط على النَّول والعمل بجميع أدواته (النول)، لغرض إعطاء وصفاً شاملاً ومفصلاً لما تم ملاحظته، ولإبراز القدرة على التحليل العلمي وربط الملاحظات الجزئية المتفرقة والمتنوعة في نسق واحد متكامل، ومعرفة الجانب الثقافي التقليدي الخاص بالحرفة وملاحظة أساليب الصناعة والوسائل التقنية المستخدمة. ومن خلال هذه المعايشة قامت الباحثة بمراقبة وتدوين وتصوير وتوثيق مراحل العمل، كما كان هناك طرح لبعض الأسئلة أثناء العمل، بغية الحصول على معلومات عن السدو وحياكته وأشكاله والوقوف على التصاميم والزخارف

وأصولها وخصائصها ودلالاتها والتعرف على جذورها وتوثيقها . وكذلك الملاحظة بالمشاركة في النشاط اليومي للإلمام بما تعكسه الحرفة من ناحية اقتصادية واجتماعية ووظيفية وفنية والاهتمام بتوثيق المصطلحات المتعلقة بالحرفة وبنفس اللهجات المحلية لمجتمع الدراسة.

ونظراً لإنتماء الباحثة لأسرة بدوية، فقد كانت لديها خلفية عن بعض عادات وتقاليد المجتمعات البدوية وطريقة التعامل معهم والتحدث بلهجتهم المحلية. ولإلمام الباحثة بالكثير من أوجه ثقافة البدو ولترددها عليهم، وأثناء ممارسة العمل كانت الباحثة تطرح أسئلة الاستبانه التي أعدتها مسبقا وقامت بحفظها حتى لا تشعر الناسجة بأنها تخضع لاستجواب، مما سهل الحصول على المعلومات، وكانت هذه المعلومات تسجل في وقتها بطريقة معينة ومبوبة بحسب المناطق التي أمكن تغطيتها.

كما ركزت الباحثة في العمل الميداني على استخدام بعض الوسائل الفنية مثل التصوير والتسجيل فقد أخذت ما يلزم من الصور الفوتوغرافية التي أسهمت إسهاما جيدا في تتبع مراحل وخطوات إنتاج تقنيات حرفة السدو والحياكة لدى مجتمع الدراسة، كما أظهر هذا الاسلوب بعض الجزئيات الصغيرة لهذه التقنيات ، وقد ساعد هذا على متابعة وصف التقنيات وصفا دقيقا. واستطاعت الباحثة أن تقوم بتصوير العديد من أشكال وأنواع النقشات الخاصة بالسدو وقامت بعرضها على ناسجات خبيرات استطعن من خلالها التعرف على أسماء هذه النقشات، كما قامت بعرض هذه الصور على أكثر من ناسجة خبيرة لتحري صحة المعلومات، وتطابقها في أغلب الأحيان لتأكيد صحتها.

كان لابد من تتبع ما يوحي بوجود أي معلومات عن الحرفة، لذا فقد استعانت الباحثة بمتعاونات لديهن الإمكانات والمعلومات عن الناسجات المسنات وأماكن تواجدهن. وقد قامت هؤلاء المتعاونات بتوجيه الأسئلة بطريقة مبسطة وسهلة حتى تفهمها الناسجات لأنهن أميات لا يعرفن القراءة والكتابة. وفي حالات قليلة لزم استخدام الاستبانه بطرحها عن طريق الهاتف على بعض المتعاونات.

ويلعب عمر الناسجة دوراً مهماً في كمية المعلومات ودقتها، خاصة النساء المسنات اللاتي لم يعدن

يمارسن الحرفة ولا يوجد لديهن سوى معلومات مختزنة في الذاكرة عن حال هذه الحرفة، خاصة أنهن يقمن في بيئة بعيدة كل البعد عن أماكن ممارستهن للمهنة. وقد أوضحت الباحثة لهن الهدف من مقابلتهن وطبيعة الدراسة التي تقوم بها والهدف منها، وقد اعتبرتهن الباحثة نماذج من اللقاءات التي تمت أثناء الدراسة. وقد كن سعيدات جداً بطرح الأسئلة عليهن ربما لتعلقهن بذلك الزمان والمكان، وكانت إجابات هؤلاء الناسجات تدون بنفس الألفاظ والمصطلحات التقليدية التي يذكرنها وقد وضع جدول خاص بهذه المصطلحات الخاصة بالحرفة وتعريفها للحفاظ عليها وتوثيقها. واعتبرتهن الباحثة مصادر موثوقة. فكلما تقدم سن الناسجة كانت معلوماتها أدق وأشمل.

وكان لمقابلة وتأييد المهتمين بالتراث الشعبي وغيرهم من العاملين في الجمعيات الخيرية والمتاحف الإقليمية [٣٤]، والأفراد في مناطق الدراسة أثر بالغ في تسهيل سير الدراسة والحصول على قدر من المعلومات، ساهم بدرجات متفاوتة في إثراء هذه الدراسة.

وخلال جمع المادة استخدمت الباحثة عددا من الأدوات اللازمة لجمع البيانات وهي كالتالي:

١ ـ تعبئة استبانة معلومات تخدم أهداف الدراسة.

فنظراً لكثرة الأسئلة وتنوع مواضيعها فقد أعدت الباحثة إستبانة تتكون من عدد من الأسئلة مُصممّة لهذا الغرض، وذلك للتأكد من صحة ودقة المعلومات لسهولة الحصول على الاستنتاجات المرجوة.

٢ ـ استعمال التصوير الفوتوغرافي لتتبع مراحل العمل والأدوات والمنتجات.

٣ ـ استعمال الرسم التفصيلي لأساليب عمل الحرفة والأدوات والتصاميم.

٤ ـ استخدام جهاز التسجيل الصوتي، لحفظ المعلومات وتدوينها.

وعبر هذه الوسائل تمكنت الباحثة من تسجيل وتوثيق الإجابات والمحادثات، كما تم تسجيل ووصف وتحليل ما يتعلق بالحرفة، بهدف تأصيلها ودراسة سماتها وما تتميز به من قيم فنية ومدى تأثرها بالمتغيرات الاجتماعية، وما يتعلق بها من عادات وتقاليد ومعتقدات شعبية، وما طرأ عليها من تطور وتغير نتيجة للمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي شهدها المجتمع.

---

(٣٤) المتحف الوطني بالرياض، متحف المنطقة الشرقية، متحف شدا ومتحف رجال ألمع بمنطقة عسير، متحف نجران.

ولكي تكون العينة المختارة ممثلة لمجتمع المملكة رأت الباحثة أن يتم الاختيار على أسس جغرافية، بحيث تتوزع العينة على كل المجتمعات التي تمارس هذه الحرفة في المملكة العربية السعودية.

إن اختيار العينة بتلك الطريقة الموجهة من الناحية الجغرافية يسمح بتمثيل أفضل من اختيارها عشوائياً كما أنه يعكس التباين والتشابه بين أنحاء المملكة ويظهر كيفية التكيف على كل بيئة، كما أن اختيار عدد الناسجات في كل منطقة بحسب حجم المنطقة. أما في داخل المنطقة فيمكن اختيار الناسجات عشوائياً حسب ما يسمح به الحال من توفرهن وقابليتهن للتعاون مع الأخذ في الاعتبار اظهار أي اختلاف في عمل الناسجات أو تباين في الإنتاج، ونحوذلك، بناء على ذلك تتبعت الباحثة التقسيم الإداري لمناطق المملكة. وتم اختيار مجتمع بدوي يستقر في القرى المجاورة لإحدى المدن الكبرى في كل منطقة إدارية لإجراء الدراسة. وقد توزعت مجتمعات الدراسة على النحو التالي:

١- المنطقة الشمالية.

٢- المنطقة الوسطى.

٣- المنطقة الجنوبية.

٤- المنطقة الغربية.

٥- المنطقة الشرقية.

وبما أن المنطقة الوسطى هي أكبر المناطق مساحة إذ تبلغ مساحتها نحو ٣١ ٪ من مساحة المملكة إضافة إلى كونها أكثر مناطق المملكة وفرة في المجتمعات الرعوية التي تستند إليها الدراسة، فقد كان من الطبيعي أن يكون حظها من حجم العينة أكبر من غيرها.

بعد إحصاء عدد الناسجات في كل منطقة، تم اختيار عينة منهن لجمع المعلومات اللازمة وفق الاستبانه المعدة لذلك(ملحق ١) وكانت النتيجة كالتالي:

المنطقة الشمالية:

تشكلت العينة من ناسجتين تعملان في المهنة هما:

أ - أم نواف الجريد من سكاكا.

ب - أم مسفر الشراري من الجوف.

أ - أم نواف الجريد، سكاكا.

السن: ٥٩ سنة الحالة الاجتماعية: متزوجة

عملت في صناعة السدو على مدى خمسين عاما، وبدأت تمارس العمل مع والدتها منذ كان عمرها تسع سنين، ومن والدتها تعلمت الحرفة وظلت تمارسها بعد أن تزوجت وانتقلت إلى منزل زوجها في نفس المنطقة، ظلت تقلد والدتها في أساليب الصناعة، واستخدام الأدوات. وكانت تحصل على المادة الخام مما يملكه زوجها من ماشية. وتذكر أن المادة الخام تتوفر بكثرة في فصل الربيع ويكثر العمل بالسدو في فصل الصيف، نظراً لاستقرار البدو في مضاربهم. وكانت تعد بعض أدوات العمل والبعض الآخر تحصل عليه من أسواق القرى، وقد كانت تجيد صباغة الخيوط المغزولة. وهي لم تعد تستخدم الصبغات النباتية، لعدم توفرها وصعوبة الحصول عليها، بل استبدلتها بالصبغات الحديثة التي توفر الوقت والجهد. وتستغرق صباغة الخيوط من يوم إلى يومين حسب كمية الخيوط.

أما البنات فيقُمن بمساعدة أمهاتهن في العمل وفي ذات الوقت يكتسبن خبرة لمستقبلهن حين يصبحن ربات بيوت. وتجيد الناسجة الكثير من منتجات الحرفة، وتذكر بان الغرض من الصناعة قديماً كان للاستهلاك المنزلي وليس للكسب، إذ أن الغالب الأعم من البدويات يجدن السدو. وتذكر الناسجة أهمية عمل السدو في حياة المجتمع البدوي قديماً، حيث كان لزاماً على الفتاة تعلم الصناعة لضرورة الحاجة لها في ذلك الوقت، لتوفير احتياجات ضرورية في الحياة اليومية. كما تذكر أن العمل يقتصر على النساء ولا يعمل به الرجال الذين ينحصر دورهم في تجهيز أدوات العمل.

ب- أم مسفر الشراري، الجوف

السن: ٦٥سنة. الحالة الاجتماعية: متزوجة.

عملت في صناعة السدو على مدى ٥٧عاماً، وبدأت تمارس العمل منذ كان عمرها ثماني سنين مع زوجة أبيها، فقد كانت تقلد الناسجات في كل مراحل العمل، حتى أتقنت الحرفة وبعد زواجها استمرت في ممارسة العمل في منزل زوجها. حيث كانت تحصل على المادة الخام مما يملكونه من ماشية، وقد تحتاج لشرائه أحياناً من الرعاة حسب احتياجات الأسرة لبعض المنتجات، فقد لا تكفي المادة المتوفرة لديهم لكل حاجيات الأسرة من السدو. واحياناً قد تحتاج إلى نوع محدد من المادة الخام (شعر أو صوف أو وبر) أو مادة خام بلون معين (أبيض) ليس متوفراً لديها. وتذكر أن عمل الرجل يقتصر على المساعدة عند إعداد الأدوات. وتذكرأم مسفر بأن الناسجة الجيدة لا تُفرِّط في أدوات العمل فهي تتوارثها من الأم والجدة وتحافظ عليها وتقوم بصيانتها. وتحب أم مسفر العمل بالمغزل وتحمله معها في كل مكان في البادية وحتى عند زيارة جاراتها. وتقوم بصباغة الخيوط الصوفية بنفسها دون مساعدة أحد، ضماناً للجودة ولثقتها في إتقان عملها. وتجيد أم مسفر عمل جميع منتجات السدو لكنها تفضل عمل بيت الشعر وأجزائه. وعن مدة العمل التي تكفي لإعداد كمية من السدو لبيت الشعر تقول إن ذلك يتوقف على مقاس البيت ونوع المنتج. ومنذ عشرين عاما ساءت ظروفها الاقتصادية فبدأت ببيع عملها في الأسواق الشعبية من أجل العائد المادي. وكان لها مشاركات مع الجمعيات المهتمة بالتراث. وتؤكد أهمية السدو عند البدو قديماً، وتُثمِّن على ضرورة تعلم الفتيات هذه الحرفة لضرورة حاجتها في البادية.

المنطقة الوسطى:

تشكلت العينة من أربع ناسجات هن:

أ- أم راكان المطيري من الرياض.

ب- أم شجاع من القصيم.

ج- أم عبد الله عائض هادي من الخرج.

د- سودة غرمان الدوسري من وادي الدواسر.

أ- أم راكان المطيري من الرياض

السن: ٥٥ سنة. الحالة الاجتماعية: متزوجة.

بدأت تَعلُّم الحرفة منذ كان عمرها ثماني سنين حين بدأت بتقليد جدتها لأُمها التي كانت ناسجة. ولمعايشتها للحرفة أتقنت جميع مراحل العمل، فكانت تشارك النساء تحضير المادة الخام، وتقلدهن في أساليب العمل، من استعمال للأدوات وغزل للخيوط. وظلت تعمل بالأساليب التقليدية ولم تبتكر جديداً في العمل. وكانت أم راكان تحصل على المادة الخام من ما يملكونه من الماشية، وتعمل بصناعة السدو في أَغلب الأوقات حين تكون هناك حاجة لإنتاجه، ولا تتقيد بفصل الصيف للعمل. وتذكر بأن المغزل دائم الدوران في أيدي النساء في جميع فصول السنة، وكانت تجيد إعداد أدوات العمل بنفسها وتقوم بصيانتها وحفظها، كما تقوم بصباغة الخيوط المغزولة في منزلها. وتعمل أم راكان بجميع أساليب ومراحل الحرفة، وتتقيد بنفس التصاميم التقليدية في النقشات والزخارف، كما تجيد الحياكة وأساليبها المتعارف عليها. وكانت تحصل على أدوات الحياكة من أسواق المدينة. وكغيرها من الناسجات تذكر أهمية الحرفة في مجتمعات البادية وضرورة تعليمها للفتيات لحاجتهن لها، وأن عمل الرجل يقتصر فقط على المساعدة في تحضير بعض أدوات عمل السدو.

ب- أم شجاع من القصيم

السن: ٦٥ سنة. الحالة الاجتماعية: متزوجة.

عملت في صناعة السدو على مدى ستة وخمسين عاماً، حيث بدأت تمارس العمل مع والدتها منذ كان عمرها تسع سنوات، واستمرت في تعلمها حتى أتقنتها، عملت بها حتى بعد زواجها وأصبحت تعلمها لبناتها، بالأساليب والتصاميم نفسها التي تعلمتها من أسرتها.

تحصل أم شجاع على المادة الخام بالمقايضة من الرعاة ببعض المواد الغذائية المتوفرة لديها كالسمن والتمر وغيرها، لقلة عدد الماشية عند زوجها. وكانت تعمل بالغزل على مدار العام متى توفرت المادة الخام وتوفر الطلب عليها، أما السدو فتذكر بأن العمل به يكثر في فصل الصيف حيث استقرار البدو، حيث يقوم

زوجها وأبناؤها بتوفير أدوات الصناعة من الأشجار المتوفرة في البيئة. وتذكر بأن أحد إخوتها أعد لها مغزلاً تحتفظ به حتى الآن. وتجيد الناسجة أم شجاع صباغة الخيوط، وكانت تعد بعض الخيوط المصبوغة وتبيعها لبعض جاراتها. ومنذ أربعين سنة توقفت عن استعمال الصبغات النباتية واستعاضت بالصبغات الحديثة، لتوفرها وسهولة إعدادها. أما المدة التي تستغرقها عملية الصباغة فهي مرتبطة بكمية الخيوط المراد صباغتها. وتجيد الناسجة جميع منتجات السدو والحياكة، وكانت تهدي بعض إنتاجها من الحقائب الصوفية الجديدة للعرائس في قبيلتها. ولأهمية السدو والحياكة في المجتمع البدوي تذكر أم شجاع بأنه قلما يوجد بيت عند البدو لا يوجد به ناسجة أو نول. وتذكر بأن عمل الرجل في الحرفة يقتصر في بعض الحالات على توفيرالادوات فقط، ولا يعمل بالسدو.

ج- أم عبد الله عائض هادي من الخرج :

السن: ٦٠ سنة. الحالة الاجتماعية: أرملة.

عملت في صناعة السدو على مدى خمسين عاماً، بدأت تمارس العمل مع والدتها منذ كان عمرها عشر سنين. وظلت تمارس الحرفة بعد زواجها- في منزلها - حيث تقلد والدتها في أساليب الصناعة، واستخدام الأدوات. تحصل على المادة الخام مما يملكونه من ماشية، وقد تحتاج لشرائه من جاراتها بالمقايضة ببعض السلع أحياناً حسب احتياجهاحين تنقص المادة الخام المتوفرة لديها عن الكمية المطلوبة للعمل. وتجيد الناسجة عمل جميع أساليب ومراحل الحرفة، وتفضل العمل بالسدو في فصل الصيف، نظراً لاستقرار البدو، أما عن عملية الغزل فتذكر بأن المغزل يدور في أيدي النساء في كل فصول السنة. وعن الصباغة تذّكر الناسجة بِنُدْرَة العمل بالصبغات النباتية لاندثار بعضها واستبدالها بالصبغات الحديثة، كما تجيد حياكة جميع المنتجات بما تعلمته من اسرتها من الأساليب المتعارف عليها وتذكر بأنها تحتفظ بأداة الحياكة الخاصة بها حتى الآن. وعن دور الرجل في الحرفة تذكر الناسجة بأنه يقتصر فقط على المساعدة في إعداد أدوات العمل.وعن أهمية الحرفة في المجتمع البدوي تقول الناسجة: بإلزام الفتاة تعلم الحرفة منذ الصغر لكونها من الحرف الأساسية عند نساء البادية.

د - سودة غرمان الدوسري من وادي الدواسر.

السن: ٧٠ سنة. الحالة الاجتماعية: متزوجة.

بدأت تعلم الحرفة منذ أن كان عمرها تسع سنين حين بدأت تقلد والدتها. أتقنت بالممارسة جميع مراحل العمل، ثم استمرت بالعمل في منزل زوجها. وكانت تحصل على المادة الخام مما يملكونه من الماشية. وتجيد الناسجة جميع مراحل العمل في السدو الحياكة بغرض الاستهلاك المنزلي، وورثت بعض أدوات العمل من والدتها فهي تعمل بها حتى الآن. كما تجيد الصباغة وتفضل الصبغات الحديثة لأنها توفر الجهد والوقت، وتستغرق صباغة الخيوط من الوقت حسب كمية الخيوط. وتعمل الناسجة في جميع فصول السنة متى توفر لها ذلك، وتساعدها بناتها في العمل. وعن اهتمام البدو بالحرفة فتذكر بأنها من الحرف الضرورية التي لا تستغني عنها نساء البادية. وتذكر بأن المجتمع البدوي في المنطقة الوسطى يعيب عمل الرجل بالحرفة، لأنه من الأعمال المنزلية الخاصة بالمرأة.

المنطقة الجنوبية:

تشكلت العينة من ناسجتين تعملان في المهنة هن:

أ - أم ناصر بن محمد عائض من أبها.

ب - نوضاء شارع الواهبي من بيشة.

أ - أم ناصر بن محمد عائض من أبها

السن: ٧٠ سنة. الحالة الاجتماعية: أرملة.

عملت بالسدو والحياكة على مدى ستين عاماً، بدأت تمارس العمل مع والدتها وجدتها منذ كان عمرها عشر سنين. قلدت أسرتها في جميع مراحل عمل السدو، ومن بعد مارست الحرفة في منزل زوجها وعملت الكثير من منتجات السدو والحياكة بغرض الاستهلاك المحلي. وتحصل على المادة الخام من

أشخاص يزاولون مهنة التجارة بصوف الأغنام في المنطقة الجنوبية، حيث يبيعون الصوف منفوشاً جاهزاً للغزل ويطلق عليهم " نفاشة ". وتقوم كبقية النساء بعمل السدو والحياكة حيث يقتصر عمل الرجال على سدو البسط فقط، بعد أن يحصلوا على الخيوط المغزولة من النساء. وتذكر الناسجة بان النساء في المنطقة الجنوبية يغزلن الخيوط باستمرار وفي كل الأوقات وكذلك يعملن بإعداد السدو والحياكة، فكل فصول السنة مناسبة للعمل. وبالنسبة لصباغة الخيوط فهي تحصل على الصبغات من النباتات الطبيعية المتوفرة في البيئة، وتفضل العمل بألوان المادة الخام الطبيعية.

وكانت تقوم بعملية الصباغة في منزلها وبمساعدة جاراتها. كما تطبق الناسجة أساليب العمل والتصاميم التقليدية. وأما أدوات الحياكة فكانت تحصل عليها من الأسواق. وتجيد الناسجة عمل كل منتجات حرفة السدو والحياكة وتعتمد مدة عمل كل منتج على نوعه ومقاساته. وتذكر أم ناصر أن الغرض من هذه المنتجات قديماً كان للاستهلاك المنزلي وليس للتسويق. وعن أهمية الحرفة تذكر الناسجة بأنه من الضرورة أن تجيد كل نساء البادية هذه الحرفة لكونها من الحرف الأساسية عند النساء والتي لا تستغني عنها الحياة في البادية.

ب- نوضاء شارع الواهبي من بيشة

السن: ٤٨ سنة. الحالة الاجتماعية: متزوجة.

عملت في صناعة السدو مع والدتها منذ كان عمرها ثماني سنين، وكانت تقلد والدتها في أساليب العمل واستخدام الأدوات والتصاميم. عملت بالصناعة بعد انتقالها لمنزل زوجها. ومن خلال ترددها على جاراتها ومن يكبرنها سناً استطاعت دمج بعض العناصر الزخرفية وابتكرت الجديد في الحرفة. وكانت تحصل على المادة الخام من أسواق الماشية حيث يعرضا بعض الرعاة للبيع. تعمل السدو بمفردها. وتجيد الناسجة أغلب منتجات السدو، وتذكر بأن الغرض من الصناعة في الماضي كان للاستهلاك المنزلي، أما هي فتعمل بالحرفة للكسب المادي، نظراً لحاجتها لذلك. وتعمل الناسجة بكل ماهو حديث في الحرفة من أدوات مصنعة في أسواق المدن وصبغات الحديثة، وقد تحصل على الخيوط جاهزة من بعض النساء في الأسواق الشعبية حيث يقمن بغزل كميات كثيرة من الخيوط وعرضها أحياناً للبيع. كما تجيد الناسجة

عمل زينات السدو وتجميل القطع بأساليب متنوعة. وعن عمل الرجل في الحرفة بالمنطقة الجنوبية تذكر الناسجة بأنه يقتصر فقط على عمل بعض المفروشات كالبسط. وأما عن أهمية الحرفة عند المجتمع البدوي فتذكر الناسجة بأن حرف السدو والحياكة من أهم الحرف المنزلية الخاصة بالمرأة لتوفير الكثير من حاجيات الضرورية في البادية، وإن لم تكن الحاجة لها كما كانت في الماضي.

المنطقة الغربية:

تشكلت العينة من الناسجة فلوة الحناكي من المدينة المنورة

فلوة الحناكي :

السن: ٦٨ سنة. الحالة الاجتماعية متزوجة.

عملت في صناعة السدو منذ ستين عاماً، تمارس العمل مع جدتها منذ كان عمرها ثماني سنين، أهدتها جدتها نولاً وأدواته عند زواجها، ولا تزال تحتفظ ببعض تلك الأدوات. تجيد الناسجة جميع مراحل عمل الحرفة، وتحصل على المادة الخام من أسواق الماشية حيث تعرض احياناً للبيع، وتقوم بإعدادها للعمل بمساعدة بعض بناتها أو جاراتها. والى جانب عملها في الصناعة تقوم الناسجة بغزل الكثير من الخيوط وتبيعها للنساء، وتساعدها ابنتها في صباغة الخيوط بالصبغات النباتية المتوفرة، كما تستخدم الصبغات الحديثة، لكنها تفضل الصبغات التقليدية، لقوة ثباتها. وتفضل جميع الألوان الزاهية.

وتذكر بأن العمل بالحرفة يكثر في فصل الصيف لاستقرار البدو. وتقوم الناسجة بإعداد بعض أدوات العمل بنفسها والبعض الآخر من الأسواق القريبة، حيث يقوم بعض الرجال بإعدادها مما هو متوفر في البيئة وتهيئتها للعمل وبيعها للنساء في البادية. كما تجيد الناسجة حياكة الكثير من منتجات الحرفة بغرض الاستهلاك المحلي، كما أجادت كل أساليب عمل النقشات الزخرفية بإضافات مبتكرة. وتحتفظ فلوة ببعض أدوات الحياكة وتعتبرها من الأشياء الشخصية والهامة. وتذكر الناسجة أهمية الحرفة في المنطقة الغربية بأن الأسرة لابد أن تهيئ الفتاة للمستقبل، فلزاماً عليها تعلم الأعمال المنزلية ومن ضمنها حرفة السدو والحياكة، لضرورتها في توفير الكثير من احتياجات الأسرة. أما الرجال في الحجاز فلا

يعملون بالحرفة.

المنطقة الشرقية:

تشكلت العينة من الناسجة أم ناصر من الاحساء

أم ناصر :

السن: ٧٠ سنة.   الحالة الاجتماعية: متزوجة.

عملت في صناعة السدو منذ ستين عاماً حيث بدأ العمل بمساعدة والدتها. ولم تكتفي بتعليم والدتها بل كانت تقلد كل من تراها تعمل بالسدو من النساء، لذا ألمّت بالكثير من أساليب العمل والتصاميم. انتقلت لمنزل زوجها ومعها بعض إنتاجها من السدو، وظلت تحصل على المادة الخام مما يملكونه من مواشي وأحياناً من أسواق الماشية. وتجيد الناسجة جميع مراحل العمل، وكانت تعمل في الصناعة للاستهلاك المنزلي وليس للتسويق. إذ تقوم بغزل الخيوط وإعدادها للغزل بنفسها، كما تقوم أيضاً بتحضير محلول الصباغة في منزلها بدون مساعدة أحد، وتعمل بالصبغات الحديثة وتفضل الألوان الزاهية. وتحصل على الأدوات من بعض نساء القبيلة ممن يرتادون الأسواق القريبة ويحضرن بعض مستلزمات الصناعة. وتقوم الناسجة أيضا بحياكة قطع السدو وتحويلها إلى المنتجات اللازمة في حياة البادية، وتحصل على أدوات الحياكة من الأسواق القريبة. كما تجيد الناسجة عمل النقشات بكل أساليبها وتفضل كثرة الزينات وتجميل القطع. كما أنها تعمل بصناعة السدو في جميع فصول السنة. وتذكر أم ناصر أهمية الصناعة بالنسبة للنساء حيث تعتبر إحدى الحرف النسائية الهامة، فلا غنى للمرأة البدوية عنها لضرورتها في حياة البادية.

وقد اقتضت طبيعة البحث تكرار الزيارات لهؤلاء الناسجات للتأكد من المعلومة وصحة البيانات. كما اتفق كل من شملهن البحث في جميع مناطق المملكة إن الحرفة عرضة للاندثار بحكم قلة مجالات استعمالها في الوقت الحالي وتناقص أعداد العاملات بها إضافة إلى المصنوعات الحديثة.

الفصل الثالث

إعداد السدو

- مصطلح السدو
- لمحة تاريخية
- المادة الخام وخواصها
- المؤثرات الضارة بالمادة الخام
- أدوات ومستلزمات إعداد المادة الخام
- مراحل إعداد المادة الخام
- النّول وأجزاؤه
- تجهيز السدو
- نسج السدو

١ ـ مصطلح السدو:

تعرف عملية غزل وحياكة الصوف والشعر والوبر عند أهل البادية بالسدو، كما يطلق على آلة الحياكة نفسها السدو. وقد ورد في لسان العرب لابن منظور في لفظة (السدو) أنها تعني " مد اليد نحو الشيء، كما تسدو الإبل في سيرها بأيديها، كما يسدو الصبيان إذا لعبوا بالجوز فرموا به في الحفرة ". والسدو يعني السير اللين."(١) وذكر الجوهري في الصِّحاح: "وسدت الناقة تسدو" وهو تذرعها في المشي واتساع خطوها فيقال: ما أحسن سدو رجليها وأتو يديها. وقوله: " إنه يعني اتساع خطوة الناقة، وحين يقال: إن فلانا يسدو سدو فلان أي ينحو نحوه" (٢). والسداة من الثوب أوالنسيج خلاف اللحمة، وهي الخيوط التي تمد طولاً وتعترضها اللحمة (٣).كما تعرف الحرفة عند العرب بالنطو، يقال: نطت المرأة غزلها أي سدته وتنطوه نطواً والغزل منطو أي مسدي(٤). وبذلك يكون المعنى اللغوي للكلمة في التراث العربي مشابه لمعناها في تراث أهل البادية وهو مد خيوط الصوف أو الشعر أو الوبر بشكل أفقي.

وتعتبر هذه الحرفة من أقدم الحرف التقليدية في الجزيرة العربية، وترتبط اجتماعياً بسكان البادية في المملكة العربية السعودية وباقي شبه الجزيرة العربية ممن يمارسون حرفة رعي الحيوانات على اختلاف أنواعها من إبل، وغنم، وماعز، وهم دائمو التنقل والترحال وراء المرعى والماء(٥). وقد عرفت الجزيرة العربية هذا النمط من الحياة بين سكانها منذ القدم.

ونظراً لطبيعة البيئة الصحراوية القاسية فقد اعتاد البدوعلى التأقلم معها، وحاول البدوي الاستفادة من مواردها، حيث تمكن من إنتاج سكن له فيها مثل بيت الشعر، إضافة إلى مستلزمات ضرورية كثيرة، مستفيداً من موارد تلك البيئة المحيطة به.

---

(١) ابن منظور، جمال الدين بن مكرم، لسان العرب المحيط، إعداد يوسف خياط دار لسان العرب، م٢، ص١٢٣.

(٢) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تحقيق احمد عبد الغفور عطا، ج ٦، دار الملايين، بيروت، ١٤٠٤هـ، ص ٢٣٧٤.

(٣) الكرمي، حسن سعيد، الهادي إلى لغة العرب، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١١هـ، ص ٣٣٢.

(٤) ابن منظور، لسان العرب المحيط، م٣، ص٦٦٤.

(٥) الدعجاني، مانع بن قراش، تقنيات تقليدية في البيئة البدوية ، ص ٣١

والمقصود بالسدو عند هؤلاء هو مد خيوط الصوف أو الشعر أو الوبر بشكل أفقي على النول الأرضي البسيط وإنتاج قطع متباينة في الطول والشكل واللون تسد احتياجات الأسرة البدوية من مصنوعات تقليدية لحياتها اليومية. وتدل هذه القطع المتنوعة على أن هذه الحرفة تعتبر حرفة ابتكار وإنتاج، حيث نرى الجهد الذي تبذله الناسجة بتحويل المادة الخام من الصوف أو الشعر أو الوبر إلى مادة جديدة، تستجيب لمعظم احتياجاتها وتقاليدها وعاداتها بتحريك يديها وحواسها مستعينة بأدوات بسيطة، ينتج عنها نماذج رائعة من السدو والحياكة.

وتعكس حرفة السدو مقدرة ومهارة يدوية فنية عالية لدى المرأة البدوية التي اختصت بها دون الرجل، فقد دلت بعض الآيات القرآنية أنها من مهن المرأة منذ القدم، قال تعالى:﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾[٦] .

وحينما يقول سبحانه وتعالى: "كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ" بالتأنيث فهذا يدل على أن من يتولى حرفة النسيج والغزل في الغالب هن النساء. وفي الحديث الشريف أيضاً ما يدل على أنها من مهن النساء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعم لهو المؤمنة في بيتها المغزل"[٧]، وفي الحرفة يقتصر عمل الرجل في الغالب على الحصول على الخيوط مغزولة من النساء في البادية ثم حياكة وتفصيل العبي الخاصة بالرجال ويطلق عليها البشوت أو المشالح الرجالية[٨]. إضافة إلى قيام بعض الرجال في المنطقة الجنوبية بعمل سدو بعض أنواع البسط[٩].

و(السُدى) بالضم. المهمل، يقال إبل سُدى أي مهملة وبعضهم يقول(سَدى) بالفتح. وأسداها أهملها[١٠]

(٦) سورة النحل، آية ٩٢.

(٧) الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب، ج٢، بيروت، (د.ت)، ص ١١٩.

(٨) العيسى، عباس محمد، موسوعة التراث الشعبي في المملكة العربية السعودية، ص ٢١.

(٩) المرجع السابق، ص٣١.

(١٠) الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، ص١٤٥.

٢ ـ لمحة تاريخية:

كانت الصناعات في عصور ما قبل التاريخ تقوم على عدة طرق وأساليب بدائية محدودة دعت إليها الحاجة إلى تحقيق بعض الأغراض الوقائية والمعيشية، مثل الدفاع عن النفس وسد احتياجات ضرورية في الحياة اليومية. وكانت هذه الصناعات تقليدا للطبيعة أو تحويراً لها، واستمرت في التطور تبعاً لنمو الذوق الفني. وكانت صناعة الغزل والنسيج من بين تلك الصناعات، ومن الصعب أن توجد لها صورة صادقة أو دقيقة في عصور ما قبل التاريخ توضح الوسائل والطرق التي كانت متبعة في ذلك الوقت لغزل الخيوط ونسج الأقمشة[١١]. ولقد عرفت حرفة الغزل والنسيج منذ فجر المدنيات القديمة، فقد اشتهرت مصر منذ القدم بصناعة النسيج واستمرت في التطور، وكانت منتجات هذه الصناعة من أهم صادراتها إلى الخارج[١٢].

وهناك إشارات في القرآن الكريم تدل على حرفة النسيج والحياكة وأنواع المواد الخام المستخدمة في صناعتها في العصر الجاهلي وعصر الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٨٠﴾ ﴾[١٣].

كذلك وردت بعض الآثار التي تدل على أن مهنتي السدو والحياكة موجودة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان بعض الصحابة يعمل بها، ومنهم الزبير بن العوام وعمرو بن العاص، وكانا يعملان الخزّ وهو نسيج من إبريسم وصوف[١٤]. وقد وضع البخاري باب سماه (باب ذكر النُّساج)[١٥].

ولما انتشر الإسلام وانقضى دور الزهد والتقشف الذي ساد العالم الإسلامي في بداية التاريخ بسبب كراهة الترف والملابس الحريرية، بدأ الاهتمام بالنسيج في العصور الإسلامية التالية لعصره صلى الله عليه وسلم واشتدت عناية الحكام بصناعة النسيج وتطورت وصارت أكثر اتقاناً وأوسع انتشاراً حتى

---

(١١) ماهر، سعاد محمد، دراسات في الحضارة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ص ٢٦٨، ٢٦٩.

(١٢) كونل، أرنست، الفن الإسلامي، ترجمة أحمد موسى، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م، ص ٥٥.

(١٣) سورة النحل، الآية رقم ٨٠.

(١٤) الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير، التراتيب، ج ٢، ص٦٠

(١٥) البخاري، ابو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، صحيح البخاري، المكتبة الإسلامية، تركيا، ١٩٧٩م،ج ٣، ص١٤.

بلغت أوج ازدهارها وفخامتها خلال العصور الإسلامية اللاحقة [١٦]. وقد بدأت الدولة الإسلامية تؤسس مصانع النسيج منذ أواخر العصر الأموي [١٧]؛ حيث كانت تعرف بدور الطِّراز الخاصة وهي المصانع التي تخصص لإنتاج الثياب الخاصة بالخلفاء ورجال الدولة، وطراز العامة يقوم بصنع النسيج والثياب لعامة الشعب[١٨]، وكانت مهام الدولة توفير المواد الخام من خيوط الكتان والصوف والحرير ومواد الصباغة، وتصميم الرسوم والزخارف، والإشراف على اختيار العمال والصناع القادرين على عملية التصنيع [١٩].

ولفظ " طراز " مشتق من الكلمة الفارسية "

ترازيدن"، "وتراز" يعني التطريز والنسيج.

ظلت صناعة النسيج سواء في مصر أو العراق أو إيران في القرون الأولى بعد الإسلام شأنها شأن الفنون الأخرى متأثرة بالطراز الساساني والبيزنطي (أي تمارس كما هي موضوعاتها الزخرفية مع إضافة جديدة إقتضتها ديانة الدولة ولغتها، وهي استبعاد الموضوعات ذات الطابع الوثني والمسيحي مع إضافة الكتابة العربية إلى الزخارف القديمة، الأمر الذي ترتب عليه أن أصبح التصميم الزخرفي هو الشريط أو الأشرطة الأفقية التي تتضمن العناصر الزخرفية والكتابة العربية، ولولا وصول هذه الكتابات العربية ماتردد المرء في إرجاعها إلى ماقبل الإسلام. واتسع مدلول هذا اللفظ حتى انتهى في العربية والفارسية إلى الدلالة على المصنع والمكان الذي تصنع فيه هذه المنسوجات [٢٠]. ثم أصبح يطلق على ملابس الخليفة التي تحتوي على شريط كتابي (شريط الطراز) يشتمل على اسم مصحوباً بعبارات دعائية ومكان وتاريخ النسج مثل(بسم الله بركة من الله لعبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين أيده الله مما عمل بمصر سنة أربع

---

(١٦) ماهر، سعاد محمد، الفنون الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٢٦٧.

(١٧) الباشا، حسن، مدخل إلى الآثار الإسلامية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨١م، ص ٣٤٨.

(١٨) الطايش، علي أحمد، الفنون الزخرفية الأسلامية المبكرة(في العصرين الأموي والعباسي) زهراء الشرق، القاهرة، ١٤٢٠هـ، ص١٠٠.

(١٩) خليفة، ربيع حامد، مناسج الطراز الخاصة بمدينة صنعاء ودراسة حول المنسوجات اليمنية في العصر الإسلامي، مجلة الإكليل، العدد الثاني، السنة السادسة، صنعاء، ١٤٠٨هـ، ص ٤٤.

(٢٠) مرزوق، محمد عبد العزيز، الزخرفة المنسوجة في الأقمشة الفاطمية، القاهرة، ١٩٤٢م، ص٢١.

وأربعين ومائتين) وأحياناً يتضمن هذا الشريط اسم المشرف على دار الطراز وياتي بصيغة (على يد .... مولى امير المؤمنين) .

وكان هذا الشريط ينسج بطريقة القباطي ويطرز بعد نسج الثوب بخيوط من الذهب والفضة أو الحرير الذي يختلف لونه عن لون الثوب، وقد اتخذ الخلفاء ذلك حقاً لهم وحدهم إختصو به لأنفسهم دون غيرهم واعتبروه من علامات سلطانهم كذكر اسمهم في خطبة الجمعة والعيدين.

و لعل من العوامل التي ساعدت على تقدم وازدهار صناعة النسيج هو تنافس الخلفاء والأمراء في إرسال الكسوة السنوية إلى الكعبة المشرفة، إذ يذكر المقريزي أن المقوقس أهدى الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أهدى قباء وعشرين ثوباً من القباطي(٢١)، كما كان الخلفاء يكسون الكعبة بالقباطي(٢٢). وكان هذا الإهداء رداً على كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي دعاه فيه للإسلام. والقباطي نسيج مصري نسبة إلى أهل مصر (القِبْط) ويعني طريقة فنية في النسيج اشتهر بإنتاجها الأقباط قبل دخول الإسلام وبرعوا فيها فأصبح اسمهم فيما بعد يطلق عليها سواء كان الصانع قبطياً أو مسلماً(٢٣). وقد وجد هذا النوع من النسيج في مصر منذ القدم واستمر خلال عصورها التاريخية، وتطور تطوراً مستمراً إلى العصر الإسلامي. وفي مصر كان القطن والكتان أهم المواد الخام، وخاصة في الدلتا بمدينة تنيس، والإسكندرية وشطا ودمياط وديبق، كما اشتهرت مدينة البهنسا في مصر الوسطى(٢٤). وأما خام الحرير فكان ينسج في الإسكندرية وفي ديبق، وكانت مدينة أخميم وأسيوط مركزين كبيرين لصناعة النسيج، كما كانت تصدر إلى بيزنطة وروما المنسوجات النفيسة. وكانت هذه المنسوجات ذات زخارف متعددة الألوان وفيها أشكال هندسية وخطوط متقاطعة ودوائر متماسة.

وفي إيران استمر تطور النسيج وتقدم تقدماً محسوساً منذ الدولة الساسانية، وبرع نسَّاجو الفرس في صناعة المنسوجات الصوفية والمنسوجات الحريرية المزركشة بخيوط الذهب والفضة المعروفة باسم الديباج.

---

(٢١) المقريزي، المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والآثار، ط١، ج١، ١٢٧٠هـ، ص ٩، ٣٠.

(٢٢) الطايش، علي أحمد، الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة(في العصريين الأموي والعباسي)، ص٩٤.

(٢٣) ماهر، سعاد محمد، الفن القبطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧م.

(٢٤) إمام، سامي أحمد، المنسوجات الأثرية القبطية والأسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د،ت) ص٥١.

وكانت مدينة سوسة وشاهور وبسنا مراكز لصناعة النسيج في العصر الساساني[٢٥]. وقد سارت صناعة النسيج الإسلامي في إيران على نفس أسلوب النسيج الساساني ولم يزد عليها سوى الأشرطة الكتابية الكوفية[٢٦].

وقد كانتا مصر وإيران من أهم الولايات التي اشتهرت بصناعة النسيج طوال العصور الإسلامية، حيث كانت تُصدِّر كل منها المنسوجات النفيسة إلى سائر الأقاليم الإسلامية وإلى أوروبا والشرق الأقصى[٢٧].

وفي الشام اشتهرت دمشق قبل الفتح الإسلامي بالنسيج الفاخر، وبعد الفتح الإسلامي ازدادت هذه الصناعة تقدماً ورقياً حتى صارت دمشق إحدى مراكز الصناعة البارزة. وأصبحت مركزاً مهماً لهذه الصناعة تصدر إلى الغرب المنسوجات الحريرية الفاخرة، وكانت تعرف بالداماسكو نسبة إلى مدينة دمشق[٢٨].

وفي تركيا يعتبر النسيج امتداداً للنسيج الإسلامي في آسيا الصغرى والبلاد التي خضعت للدولة العثمانية، حيث كانت منسوجات الطراز العثماني من المنسوجات المركبة كالديباج والدمسق، والمنسوجات الوبرية كالقطيفة والمخمل. وزخارف هذه المنسوجات تشبه زخارف النسيج التركي المعاصر، قوامها الرسوم النباتية القريبة من الطبيعة وعنصر الزهرة والورقة[٢٩].

وفي الهند مارس الهنود صناعة النسيج منذ القدم، وازدهرت الصناعة في ظل الحكم الإسلامي، وتطورت المنسوجات الهندية القطنية والحريرية الموشاة بالذهب، وامتاز النسيج الهندي بغزارة الزخرفة[٣٠].

كذلك انتشرت صناعة المنسوجات في الأندلس منذ دخلها العرب، وكانت زخارفها تشبه الأسلوب

---

(٢٥) ماهر، سعاد محمد، الفنون الإسلامية، ص ٢٧٧.

(٢٦) الطايش، علي أحمد، الفنون الزخرفية الأسلامية المبكرة (في العصرين الأموي والعباسي)، ص١٠٦.

(٢٧) خليفة، ربيع حامد، الفنون الزخرفية اليمنية في العصر الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، ط١، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ١٥٤.

(٢٨) الألفي، صالح، الفن الأسلامي، ص٢٩٢

(٢٩) ماهر، سعاد محمد، الفنون الأسلامية، ص ٢٧٩.

(٣٠) الطايش، علي أحمد، الفنون الزخرفية الأسلامية المبكرة(في العصرين الأموي والعباسي)، ص٩٢.

القبطي المطور. وقد كتبت أسماء بعض الخلفاء على النسيج في القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجريين، منها على سبيل المثال (بسم الله الرحمن الرحيم بركة من الله واليمن والدوام للخليفة الإمام أمير المؤمنين). وقد تميز النسيج الأندلسي بالجودة الفائقة في صنعه وزخارفه التي قوامها أطباق نجمية وأشرطة متداخلة وأشكال هندسية متعددة [٣١].

كذلك ازدهرت صناعة النسيج الإسلامي في شمال أفريقيا وجزيرة صقلية، حيث كان للنسيج الإسلامي شهرة عالية في القرون الوسطى. ولا تزال بعض قطع النسيج محفوظة في متاحف أوروبا كتحف ثمينة [٣٢].

أما في الجزيرة العربية، فنظراً لانتشار القبائل في صحاريها وبحكم البداوة السائدة في جميع مناطقها فقد عرفت صناعة النسيج واهتم به السكان لاهتمامهم بالثروة الحيوانية والاستفادة منها في إنتاج بيوت الشعر والتي تشغل المرتبة الأولى في منتجات النسيج في ذلك الوقت. وقد شهدت جنوب الجزيرة العربية قيام حضارات قديمة مثل السبئية والمعينية والحميرية. وهذه حضارات استفادت من موقعها الجغرافي والاتصال بالحضارات القديمة الأخرى. وقد انعكس أثر هذا الاتصال في شتى المجالات التجارية والصناعية ومنها صناعة النسيج، حيث اشتهرت اليمن في جنوب الجزيرة العربية في مجال صناعة النسيج في فترة ما قبل الإسلام وفي العصور الإسلامية. وقد أشارت المصادر التاريخية إلى أن ملوك اليمن في العصور القديمة أنشأوا دوراً للنسيج كانت تدر عليهم أموالاً كثيرة، وكانت المنسوجات اليمنية تصدر إلى خارج البلاد [٣٣]. وقد كسيت الكعبة المشرفة بمنسوجات يمنية. وتذكر المصادر أن تبع بالكرب أسعد لما قدم من المدينة إلى مكة في طريقه إلى اليمن، رأى في المنام أنه يكسو البيت الحرام، فكساه الخصف وهو نسيج من خوص، ثم رأى مرة أخرى أنه يكسوه أحسن الأقمشة فكساه الوصايل، فكان تبع أول من كسا البيت

---

(٣١) ماهر، سعاد، الفنون الأسلامية، ص٢٨١.

(٣٢) الطايش، علي أحمد، الفنون الزخرفية الأسلامية المبكرة(في العصرين الأموي والعباسي) ، ص١٠٦.

(٣٣) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ج٥، ١٩٧١م، ص ٢٦١.



فأوصى به ولاته من جرهم[٣٤].واستمرت كسوة الكعبة ترسل من اليمن حتى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه [٣٥].

والوصايل لغة جمع وصيلة، والوصيلة كما جاء في القاموس المحيط ثوب يماني مخطط. ويتسم في عدم وجود وتصميم زخرفي مسبق، وإنما تتم الزخرفة عن طريق استخدام خيوط ملونة(مصبوغة) تستخدم في خيوط السداه واللحمة بطريقة متصلة او منفصلة مشكلة نوعاً من الزخرفة اشبه بالزخرفة التجريدية الفن الحديث، ولا نكاد نلمح تشابهاً بين قطعة وأخرى رغم أن الأسلوب الصناعي المستخدم واحد وهو أسلوب الوصايل. والوصايل نوع من الأقمشة التي كانت تنسج في عصور ما قبل الإسلام، واستمرنسجها في العصورالإسلامية[٣٦].

وقد كانت منسوجات جنوب الجزيرة العربية التي تنسب للقرنين الرابع والخامس الهجريين من أشهر المنسوجات في ذلك العهد، وذلك لما تشتمل عليه من أساليب صناعية وزخارف قوامها زخارف مختلفة من المعينات والمربعات وخطوط منكسرة وكتابة كوفية تشتمل على عبارة مكررة لامالك أو لاخالد ويتضح هذا في قطعة محفوظة بمتحف الفن الأسلامي بالقاهرة وهي من طراز الملوك (صنع طراز الملوك سنة مائتين) أي ترجع إلى عصر الخليفة العباس المأمون. كما كانت نجران مركزاً مهماً لصناعة الأنسجة والبرود، والبرود أو البرد جمع بُرد بالضم وهو ثوب مخطط، وينسج من الكتان المصبوغ بأصباغ يمنية، خاصة مايعرف منها باسم الورس وهونبات عربي يعرف باسم الزعفران يعطي اللون الأصفر الفاقع وهونبات يشبه السمسم. وكان الورس من الأصباغ النادرة التي تم تصديرها من اليمن إلى بعض البلاد الأخرى التي تستخدمها في الصباغة ، وكانت جمال اليمن التي تحملها إلى الشمال تصفر لونها بتأثر لون أحمالها

---

(٣٤) ابن هشام، محمد عبد الملك، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا، دار الكنوز الأدبية، ج١، ص ١٥.

(٣٥) النعيم، نورة، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في القرن ٣ ق. م إلى القرن ٣ م، دار الشواف للنشر، الرياض، ١٤١٢هـ ص ١٩٥.

(٣٦) خليفة، ربيع حامد، الفنون الزخرفية اليمنية في العصر الإسلامي، ص ١٥٥.

الغالية.[37] وقد صالح النبي صلى الله عليه وسلم أهل نجران على ألفي حله تدفع على مرحلتين[38] ومن أهمها الحلل اليمانية والثياب السعيدية بصنعاء والعدنية. واشتهرت جريب وسحولا بالبرود.

وقد اشتهرت مدينة صنعاء بصناعة النسيج، حيث كانت تضم عدداً من المناسج الخاصة في فترة حكم دولة بني جعفر. وفي مدينة زبيد بلغت مصانع النسيج مائة وخمسين مصنعاً وكانت تصدر إلى جميع أنحاء اليمن[39]. ويضم متحف الفن الإسلامي بالقاهرة نماذج من منسوجات الطراز اليمنية ترجع للعصر العباسي[40]. ونظراً لموقع اليمن الجغرافي واتصالها بشبه القارة الهندية عبر الطرق البحرية، فقد كان السكان يستوردون المنسوجات وغيرها ويصدرونه إلى بقية أنحاء الجزيرة العربية عبر موانئ الخليج العربي ببعض السفن.

وفي الجزء الغربي من شبه الجزيرة العربية عرفت صناعة النسيج في الكثير من مدنها، وكانت المنسوجات أهم السلع المتداولة في أسواقها الموسمية، ومنها سوق عكاظ الذي يعتبر أعظم أسواق العرب وأكثرها وروداً في أشعارهم وأخبارهم، إذ كان من الأسواق المشهورة التي يجتمع فيها التجار من مختلف بلاد العرب من الحجاز والبحرين واليمن واليمامة وعمان والعراق، ومن سائر أطراف الجزيرة العربية، وكانت المنسوجات اليمانية والشامية والمنسوجات المجلوبة من البحرين أهم السلع المتداولة فيه[41].

كما عرفت صناعة النسيج في المدينة المنورة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد روى البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: "جاءت امرأة ببردة فقال: أتدرون ما البردة؟ فقيل له نعم هي الشملة منسوج في حاشيتها، قالت: يا رسول الله إني نسجت هذه بيدي أكسوكها فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم محتاجاً إليها، فخرج إلينا وإنها إزاره، فقال رجل من القوم يا رسول الله إكسنيها فقال نعم، فجلس النبي صلى الله عليه وسلم في المجلس، ثم رجع فطواها ثم أرسل بها إليه فقال له القوم: ما أحسنت سألتها

---

(٣٧) الطايش، على أحمد ، الفنون الأسلامية المبكرة، في العصرين الأموي والعباسي، ص ص ١٠٧-١٠٨

(٣٨) الصمد، واضح، الصناعات والحرف عند العرب في العصر الجاهلي، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ١٤٠٢هـ، ص٣٨.

(٣٩) خليفة، ربيع حامد، الفنون الزخرفية اليمنية في العصر الإسلامي، ص ص ١٧٢، ١٧٣.

(٤٠) الطايش، علي أحمد، الفنون الزخرفية الأسلامية المبكرة(في العصرين الأموي والعباسي) ص١٠٩.

(٤١) العمري، عبد العزيز إبراهيم، الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، ص ١٣٤.

إياه، لقد علمت أنه لا يرد سائلاً، فقال الرجل والله ما سألته إلا لتكون كفني يوم أموت، فكانت كفنه"[٤٢].وهذا يدل على وجود صناعة النسيج في المدينة.

وقد كان الأعراب في البوادي بحاجة إلى بيوت يسكنونها، وهذه البيوت من الصوف والشعر وتحتاج إلى عمليات طويلة من الغزل والنسج والحياكة بطريقة معينة حتى يمكن استخدامها والاستفادة منها، وكانت بسيطة تنسج مما يتوفر من شعر الماعز وغيرها من الأصواف الخشنة [٤٣].

ونظراً لطبيعة البادية الخشنة في وسط الجزيرة العربية حيث انتشرت القبائل فقد استخدموا الأصواف أكثر من غيرهم، لذا اهتموا بنسج الصوف والشعر والوبر واستفادوا من هذه الصناعة في الكثير من احتياجاتهم الضرورية. وقد تم في المملكة اكتشاف بعض أجزاء النسيج المصنوع من الصوف والشعر والكتان والقطن، يرجع تاريخها إلى ٢٠٠٠ سنة تقريباً، وذلك ضمن أعمال التنقيب التي أُجريت في منطقة الفاو الأثرية التي تبعد ٧٠٠ كم جنوب مدينة الرياض[٤٤]. كما عثر على أقراص من العاج استخدمت كمغازل وسطها ثقب وعليها زخارف مكونة من دوائر محزوزة وأمشاط، يعتقد أنها استعملت في صناعة النسيج [٤٥].

ويعتبر بزوغ فجر الإسلام منعطفاً حاسماً في تاريخ شبه الجزيرة العربية حيث حققت الدولة الإسلامية أول وحدة شاملة لأجزاء شبه الجزيرة العربية المختلفة، وحينما انتقلت مراكز الحكم السياسية من شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الشام في العصر الأموي فالعراق في العصر العباسي، استمر النمو الحضاري في معظم أجزاء الجزيرة العربية حيث أُنشئت الطرق التجارية وطرق الحج في زمن الأمويين ثم العباسيين، حيث أقاموا مرافق عديدة لخدمة قوافل الحجاج والتجارة، متمثلة في المنازل والمحطات وبناء البرك والسدود وحفر الآبار والعيون والقلاع والحصون، ولا تزال آثارها باقية على كل من درب زبيدة وطريق الحج المصري

(٤٢) البخاري، أبو عبيد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ج١، ص ١٤.

(٤٣) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٧، ص ٥٩٧.

(44) الأنصاري، عبد الرحمن الطيب، قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة، الرياض، ١٤٠٢هـ، ص ١١٣.

(٤٥) المرجع السابق، ص ٢٨.

والشامي وطريق الحج اليمني. وقد تأثرت شبه الجزيرة العربية بما حل في الخلافة الإسلامية من اضمحلال وتمزق في عصورها المتأخرة أثناء الحكم العثماني.

وقبيل الدولة السعودية حيث لم تكن هناك دولة موحدة مستقرة، مما كان له الأثر السلبي على مستوى الصناعات والحرف. لذا نشطت الصناعات ولاقت ازدهاراً ملحوظاً في الدولة السعودية [٤٦].

وبفضل التشجيع الذي قدمته الدولة السعودية لصناعة النسيج ازدادت الصناعة تطوراً وازدهاراً، ففي الدولة السعودية الأولى، اختيرت الإحساء مركزاً لإنتاج ملابس الأسرة المالكة وأفراد الحكومة، وقد ذكرت المصادر أن الأحساء التي يشار إليها في المصادر باسمها القديم "البحرين" وأحياناً تعرف باسم "هجر"، قد اشتهرت بإنتاج منسوجات متنوعة، وأن تلك المنسوجات كانت تصدر إلى أسواق الجزيرة العربية وخارجها. ومدينة هجر عرفت بنسج الثياب الهجرية، والمعقد الهجري. وكانت منسوجاتها من أهم السلع في تلك الأسواق. وقد ذكرت بعض المصادر أن الرسول صلى الله عليه وسلم اشترى سراويل من نسج هجر[٤٧].

وقد ذكر الرحالة الفارسي ناصر خسرو حين زارالأحساء عام ٤٤٣هـ أنها كانت تنتج نوعاً من الفوط الفاخرة وصفت بأنها قصيرة غليظة النسيج ومخططة، وقد نالت شهرة جيدة، وكانت تحمل إلى البصرة للتجارة ومنها إلى أطراف الدنيا[٤٨].

وكذلك اشتهرت القطيف بإنتاج الثياب المروزية وهي ثياب رقيقة النسيج، وإنتاج نوعاً من العبي يعرف باللاس، منسوجة من خيوط ناعمة وموشاة بخيوط الحرير. وقد ورد ذكر هذين النسيجين في قول الشاعر الأمير علي بن المقرب:

ومن مروزي بالقطيف واللاس عباءة بوادي طيئ ونطوعها [٤٩].

---

(٤٦) الشويعر، محمد بن سعد، نجد قبل ٢٥٠ سنة، الناشر إصدارات النخيل، الرياض، ١٤١٢هـ، ص ٨١.

(47) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٥٧هـص ٥٢٨.

(٤٨) ناصر خسرو، القباد ياني، سفر نامه، ترجمة أحمد خالد البدلي، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٣هـ، ص ١٦٩.

(٤٩) ديوان أبن المقرب العيوني (٥٧٢- ٦٣٦هـ)، تحقيق عبد الفتاح الحلو، مكتبة التعاون الثقافي، ١٤٠٨هـ، ص ٢٥٥.

وهنا يظهر أن الكثير من الأدوات وطرق العمل لم تتغير منذ مئات السنين، لكنها خضعت لبعض التغيرات الناجمة عن أساليب جديدة، نتيجة لتطور العلاقات، حيث إن هناك أنواعاً من النسيج وفدت من مختلف مناطق العالم الإسلامي إلى الجزيرة العربية فتداولها الناس، و تأثرت بها الصناعة المحلية.

٣ـ المواد الخام وخواصها:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٥٠].

إن العناية بتربية الحيوانات ورعيها والاهتمام بها من الحرف الرئيسة عند العرب منذ العصر الإسلامي،[٥١] فقد كان اعتماد القبائل في الكسب عن طريق حرفة الرعي. كما كانت الأغنام والماعز والابل هي المصادر الأساسية للمعيشة، فمن لحومها وألبانها غذاؤهم ومن أصوافها ينسجون سكنهم وملبسهم وفرشهم، وظلت عناية العرب بالرعي منذ العصر الأسلامي حتى وقتنا الحاضر، واهتم البدو في صحاري شبه الجزيرة العربية بالثروة الحيوانية من أغنام وماعز وإبل، وجعلوها مقياس ثرائهم ومكانتهم الاجتماعية. وتكيفت نساء البادية مع هذه الثروة حيث استغلت أصوافها وأوبارها وأشعارها كمادة خام لنسج بيوتهم وفرشهم وبعض ملابسهم وعمل الكثير من المنتجات النفعية الملائمة لظروف الصحراء من خلال حرفة السدو.

إن المادة الرئيسة في حرفة السدو والحياكة أولاً وآخراً هي الخيط بمختلف أنواعه وصفاته ومصادره، والخيط نواة حرفة السدو والحياكة بكل فروعها واشتقاقاتها، لذا لابد من بيان مصادر هذا الخيط وكيفية الحصول عليه، وذلك على النحو التالي:

---

(٥٠) سورة النحل، الآيات: (٥ - ٧).

(٥١) العمري، عبد العزيز إبراهيم، الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول صلى الله عليه وسالم، ص٦٦.

٣ ـ ١ الصوف وخواصه الطبيعية:

يعتبر الصوف من أهم المواد الخام وله أهمية كبيرة في حرفة السدو. والصوف هو "الشعر" الذي يغطي جسم الضأن، وتتكون شعرة الصوف من ثلاث طبقات، الطبقة الخارجية (القشرة أو الحراشيف) وطبقة ليفية خلوية وطبقة نخاعية، ويبدأ نمو الشعرة من كيس صغير على جلد الأغنام، وتبلغ سرعة نموها نحو نصف بوصة في الشهر(٥٢). أما الخواص الطبيعية للصوف فهي اللمعان والنعومة، فكلما قل مقدار بروز الحراشيف زاد اللمعان والنعومة، وكذلك خاصية التلبد الذي يعطي الشعرة المقاومة للتأثيرات الخارجية، وكلما كانت القشور أكثر بروزاً كانت مساعدة على التلبد، أما المتانة في الصوف فتعتمد على الطبقة الليفية الخلوية والحراشيف التي تكسو الشعرة، وتختلف قوة ومتانة الألياف باختلاف دقة الشعيرات وبحالة الحيوان الصحية (٥٣). أما خاصية اللون فالصوف تتعدد ألوانه، فمنه الأبيض والأسود والرمادي والبُني. وتحتوي الطبقة النخاعية على المواد الملونة التي تعطي الصوف لونه الطبيعي(٥٤). كما يعتبر الصوف أكثر الألياف امتصاصاً للرطوبة، فهو يمتص بخار الماء عند تعرضه لجو رطب ويفقده في الجو الجاف(٥٥). كذلك يتميز الصوف بالطول، حيث تتفاوت طول شعيرات جزة الصوف حسب سلالة الأغنام، مما يتوقف عليه ملائمة الصوف لعمليات الغزل والسدو، فكلما زاد طول الصوف كلما زادت صلاحيته للغزل. ويتوفر الصوف في المملكة العربية السعودية بألوانه الطبيعية، فالصوف الأبيض متوفر حسب توفر الأغنام البيضاء وتسمى (النعيمي)، والصوف الأسود متوفر في الأغنام السوداء وتسمى (النجدي)، ويفضل البدو الصوف الأبيض لقابليته للصباغة بألوان متعددة .

---

(٥٢) حجازي، عبد الرحيم، خامات النسيج، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، ١٩٨٦م، ص١٣٦.

(٥٣) نصر، إنصاف، دراسات في النسيج، دار الفكر، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ص٨٧، ٩٢.

(٥٤) المرجع السابق، ص٨٣.

(٥٥) حجازي، عبد الرحيم، خامات النسيج، ص٥٨،



(صوف الضأن)



(أنواع من ألوان الصوف)

٣ ـ ٢ الشعر وخواصه الطبيعية:

يؤخذ الشعر من الماعز، وهو الشعر المسترسل الذي يغطي هذا الحيوان، ويشبه الصوف في خواصه الطبيعية[٥٦]. ويتصف شعر الماعز بسُمكه وخشونته وقلة تموجاته، وتغطي شعيرات الماعز حراشيف عريضة أطرافها غير مسننة، كما أن القطاع العرضي للشعيرات مستدير. وله خاصية تميزه عن غيره من المواد الخام هي خاصية الشعر الزيتية، فعندما يبتل نسيجه تتفتح خيوطه وتزداد التحاماً مع بعضها فتكون مقاومة للماء، ويحتفظ بقوة سدوه لفترات طويلة. ويسمى شعر الماعز(سليل) ويعتبر مرغوباً وجيداً من حيث سواده وطوله، وهو كالصوف تعتمد جودته على الحالة الصحية للماعز. وشعر الماعز التي تعيش في مناطق جبلية أو باردة تكون أقوى من شعر الماعز التي تعيش في مناطق سهلية أو دافئة، نظراً لكثرة الأمطار وخصوبة الأرض[٥٧]. وما يؤخذ من الأكتاف أفضل مما يؤخذ من الأرجل والبطن، ونظراً لمتانة شعر الماعز وندرته لأنه يربى في المملكة على نطاق ضيق فقد استخدم في السدو على نطاق ضيق أيضا، حيث يستعمل في سدو بيت الشعر، ويستخدم بدرجة أقل في منتجات السدو الأخرى .



(شعر الماعز)

(٥٦) المرجع السابق، ص ١٠٠.

(٥٧) جبور، جبرائيل سليمان، البدو والبادية، صور من حياة البدو في بادية الشام، ص ١٩٩.

٣-٣- الوبر وخواصه الطبيعية:

لعبت الإبل دوراً كبيراً في البيئة العربية، إذ أثرت تأثيراً فعالاً في حياة العرب وتاريخهم، وتعتبر أحد الموارد الأساسية بالنسبة لهم. فمنها يحصلون على اللحم والألبان ومن روثها ما يتخذ وقوداً للطهي والتدفئة، وكذلك الأوبار والجلود. ويعرف أن وجود الإبل عند البدو كبير جداً فهو وسيلتهم في الحل والترحال. ويغطي أبدان الإبل الوبر ويوجد بكثافة في الرقبة والسنام والأكتاف. ويمتاز عن الصوف والشعر بمميزات منها المتانة والخفة ونعومة الملمس وقلة توصيله للحرارة، وهو إلى جانب ذلك ذو ألوان مرغوبة عند البدو. كما أن وبر الإبل الصغيرة يتميز عن الكبيرة بنعومته، فكلما تقدمت الإبل في السن كلما زادت خشونة وبرها. وتتراوح كمية الوبر الناتجة عن الرأس الواحد بين ١و٢ كغ، ويتساقط الوبر في فصل الصيف على هيئة كتل متشابكة يلتقطها البدو من المراعي، و يمكن جمع ما يتبقى من الوبرعلى جسم الحيوان باليد، إذ يضعف تماسكه خلال الصيف[٥٨]. ويفضل البدو وبر الجمل بلونه الطبيعي في عمل السدو، وتقرن ألوانه بألوان الإبل المتعارف عليها عند أهل البادية وهي:

أ- الوضح: ذات اللون الأبيض، وحسب العرف عند البدو لا يقال إبل بيضاء بل يقال جمل أوضح أو ناقة وضحاء.

ب- الملح: وهي الإبل السود سواد حالك فيقال جمل أملح وناقة ملحاء.

ج- الشقح: وهي الإبل الأقل بياضاً(الغُبر) ويقال ناقة شقحاء وجمل أشقح.

د- الشعل: وهي الإبل ذات اللون الشبيهة بحبة القهوة النيئة.

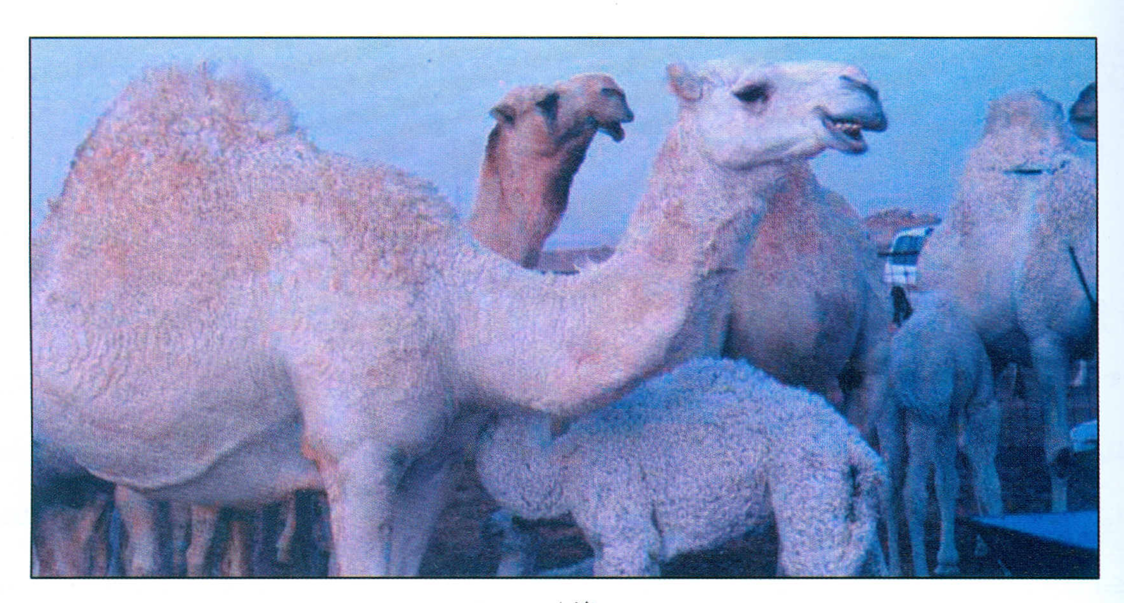
ه- الحمر: وهي ذات اللون الشبيهة بلون حبة القمح يميل إلى الاحمرار.

و- الصفر: وهي ذات اللون الشبيهة بحبة القهوة المحمصة المحروقة يقال جمل أصفر وناقة صفراء[٥٩].

---

(٥٨) الزيد، عبد الله، الإبل في الوطن العربي، ص٤٢٧.

(٥٩) الهواوي، عبد الرحمن بن سعود، الجمل العربي بين العلم والتراث، إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة، الرياض، ١٤١١هـ، ص ١٠٣.



وبر الإبل

أثر المراعي على المادة الخام:

وتؤثر حالة الحيوان الصحية على صفات ومميزات المادة الخام. فتعرضها إلى سوء التغذية أو بعض الأمراض الجلدية والظروف البيئية غير المناسبة تؤثر على المادة الخام، وبالتالي تكون ضعيفة في عمل الغزل. لذا تَعمَدُ الناسجة على خلط المادة الخام الرديئة ببعض الجيدة لتقويتها ، فالبدو يستغلون كل موارد البيئة الصحراوية المتوفرة.

ويكره البدو استعمال المادة الخام من الحيوان الميت أو الذي أكله السبع ، لذا يعمد البدو إلى تذكية الحيوان قبل موته(٦٠) للاستفادة من الصوف والشعر والوبر والجلد ولا ياكلون اللحم في هذه الحالة. وذلك تمشياً مع تعاليم الدين، قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾(٦١)

(٦٠) في هذه الحالة تستعين المراة بالرجل فيوجه الحيوان تجاه القبلة ويقول بسم الله والله أكبر ثم ينحر الحيوان، وبذلك يكون قد أدركه قبل موته.

(٦١) سورة المائدة (الآية ٣).

وذكر في تفسير الجلالين[٦٢] لقوله تعالى(إلا ماذكيتم) أي ما أدركتم فيه الروح من هذه الأشياء فذبحتموه، وتفسيره لقوله (أهل لغير الله) أي ذبح على غير أسمه.

٣ ـ ٤ القطن وخواصه الطبيعية:

من بين المواد الخام الأخرى التي تستخدم في السدو القطن الذي تشكل شعيراته هالة تحيط ببذور هذه النباتات، وتمثل كل شعرة من شعيرات القطن خلية نباتية واحدة، ويتراوح طولها من ١٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ مرة مقدار قطرها، ويبدأ تكوين شعيرات القطن داخل النبات [٦٣]، وبعد تفتح النبتة تجف الشعيرات ويتحول شكلها الأسطواني إلى شريط حلزوني ملتوٍ، ويتجه خلال الالتواء يميناً وشمالاً، وتختلف أعداد الالتواءات مابين١٥٠ إلى٣٠٠ في البوصة الواحدة[٦٤]، و يختلف طول شعيرات القطن في البذرة الواحدة اختلافاً كبيراً يصل من ١ إلى ٥ بوصة [٦٥]. كذلك يختلف طول الشعيرات باختلاف الظروف الجوية التي يتعرض لها النبات ، وكلما زاد طول الشعيرات زادت نعومة القطن[٦٦]. ويتميز القطن أيضا بالمتانة ومقاومة القطع حيث يمكن برم الشعيرات إلى نحو ٥٠٠ مرة دون أن تنقطع[٦٧] . وترجع متانة شعيرات القطن إلى مادة السليلوز المكونة للجدار الثانوي للخلية[٦٨] . واللون الغالب للقطن الأبيض والأبيض المائل للسمرة، كما يتميز القطن باللمعان، ويختلف هذا اللمعان باختلاف أنواعه فالأنواع الرقيقة أكثر لمعانا من الخشنة، وللقطن قابلية كبيرة في امتصاص الرطوبة وهذا مما يساعد على صباغته[٦٩]. وكان النساجون في الماضي يقومون بغزل القطن المستورد من مصر ودول شرق إفريقيا، وأما البدو في الماضي القريب فيحصلون عليه من أسواق

---

(٦٢) جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجلالين، بيروت، دار الفكر، (ب، ت) ص٨٨.

(٦٣) حجازي، عبد الرحيم، خامات النسيج، ص٣٠.

(٦٤) نصر، إنصاف، دراسات في النسيج، ص٢٧.

(٦٥) حجازي، عبد الرحيم، خامات النسيج، ص٣٨.

(٦٦) فخري، محمد هاني، الأبعاد الوظيفية لنسجيات السدو بدولة الأمارات العربية المتحدة، بحث مقدم للمؤتمر العلمي السادس(الفن وتحديات العصر) كلية الفنون الجميلة، جامعة المنيا، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٥١.

(٦٧) نصر، إنصاف، دراسات في النسيج، ص٣٠

(٦٨) حجازي، عبد الرحيم، خامات في النسيج، ص٤٢.

(٦٩) نصر، إنصاف، دراسات في النسيج، ص٣١.

القرى والمدن جاهزاً على هيئة خيوط تبرمه النساء يدوياً. وتستخدمه في خيوط اللّحمة.

٤ ـ المؤثرات الضارة بالمادة الخام:

يعيش عدد كبير من الكائنات الحية كالحشرات والفطريات حول الإنسان في كل مكان، وتزداد هذه تبعاً للظروف المحيطة من رطوبة وحرارة، وتؤثر هذه الكائنات على مادة النسيج الخام عند البدو وتقلل من جودتها. وهي على النحو التالي:

أ ـ العثة:

وهي أشد هذه الكائنات ضررا، وتعرف عند البدو(بسوسةالصوف).

ب ـ الأرضة:

وتنتشر في المادة الخام سواء في حالة "العمت" قبل الغزل أو "الدجج" بعد الغزل.

ج ـ القوارض:

مثل الفئران البرية التي تعرف في شمال المملكة (بالفور).

وقد استطاعت المرأة البدوية وضع معالجات ناجحة لهذه العوامل باستخدام بعض حبوب القرنفل (العويدي) التي تدخل في عمل القهوة، إذ تعمد المرأة إلى وضعها في وسط المادة الخام وحفظها معها. كما استعان البدو بالملح الخشن وذلك بذره على المادة الخام في كل اتجاه ثم يخزن معها. كذلك مادة البارود التي تستعمل في صنع الذخيرة، حيث يذر بين الشعيرات لتلافي تعرضها لأي من المؤثرات السابقة. وهناك أيضاً كرات الأسفنيك، وهو منتج حديث عبارة عن كرات بيضاء بمقاسات مختلفة يستعمل لحفظ الملابس والأقمشة المعدة للخزن مدة طويلة، وله رائحة نفاذة، ويعرف عند البدو (الفنطليس). وبعد هذه المعالجات ترفع المادة الخام عن الأرض وتعلق في مكان مرتفع في أحد أركان بيت الشعر المخصص للنساء، حتى يحين موعد إعدادها للغزل.

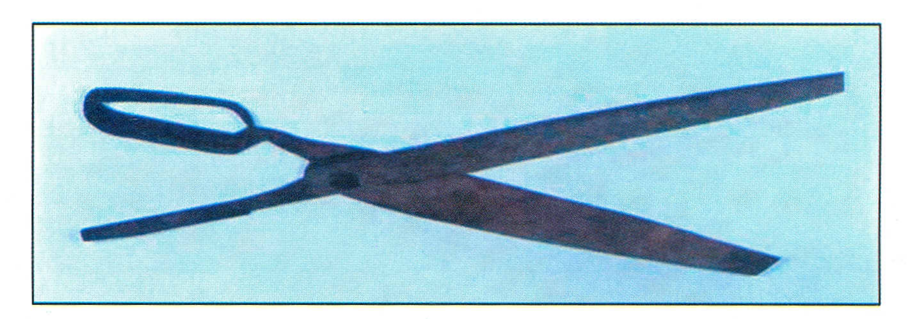
٥ ـ أدوات ومستلزمات إعداد المادة الخام:

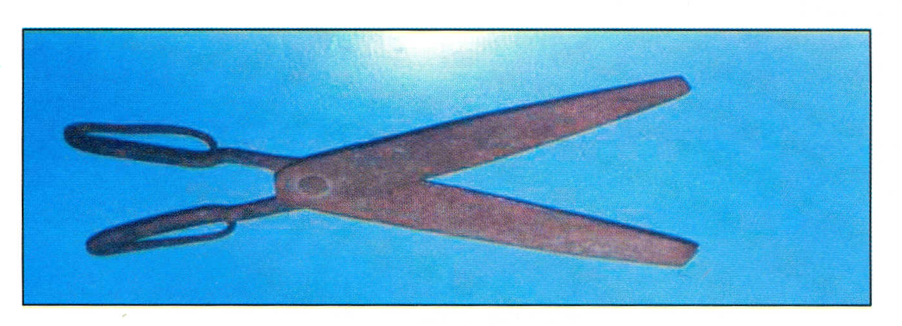
تمر حرفة السدو بعدة مراحل ، تبدأ بمرحلة قص أو نزع المادة الخام من الحيوان والمعروفة بالجز،

يعقبها الفرز، ثم مرحلة التنظيف، ثم النفش، ثم الغزل أي تحويلها إلى خيوط، ثم الصباغة، بعدها تبرم الخيوط وتعد لعملية السدو. ولبعض المراحل السابقة أداة أو أدوات خاصة بها وهذه الأدوات متعددة الأشكال والوظائف، ومتفاوتة في الأهمية حسب نوعية احتياجها وفوائدها في توفير الوقت والجهد وفي تنظيم عملية السدو والحياكة وحركة النول وتثبيته وشد الخيوط ودقة انتظامها. وقد تحصل الناسجة على هذه الأدوات من البيئة المحلية، وقد يكون لها صناع متخصصون في أسواق المدن والقرى القريبة من البادية، وتتسم هذه الأدوات بالبساطة وعدم التعقيد، وسوف نستعرضها حسب تسلسل خطوات الحصول على المادة الخام وتجهيزها على النحو التالي:

٥ ـ ١ الجليم:

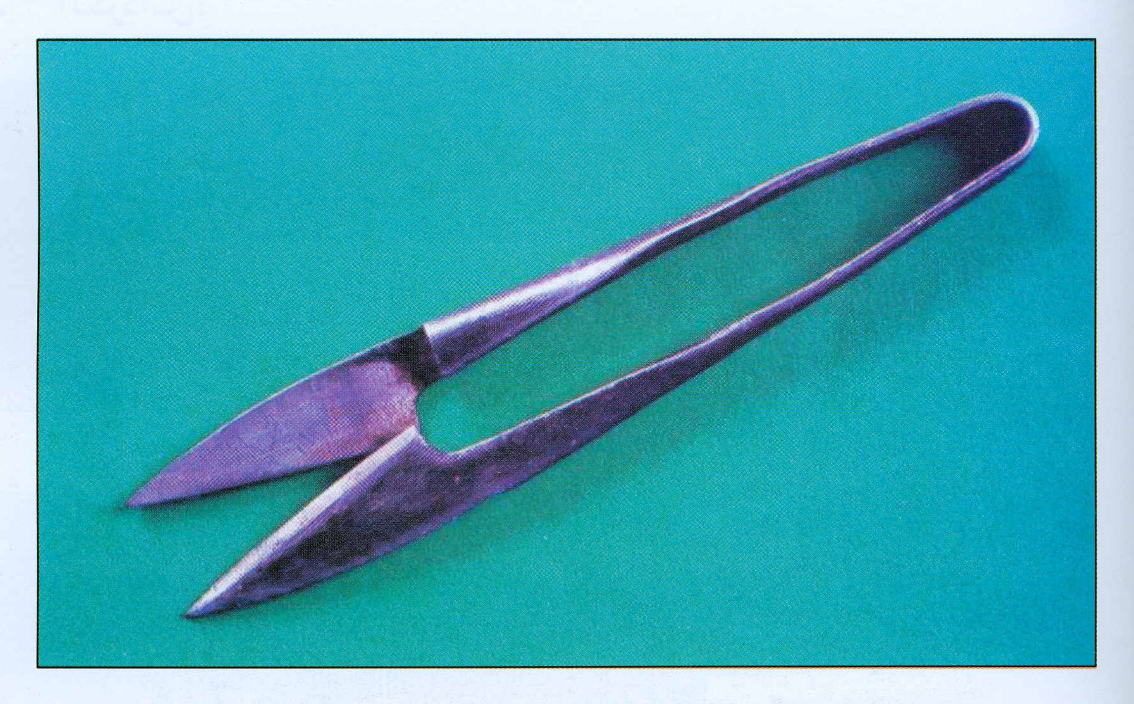
يستخدم المقص الذي يعرف "بالجليم" أو "الجلم" ويعرف أيضاً "بالمقراض" و"الزو" وهو أداة جز المادة الخام من الحيوان، وهو عبارة عن قطعتين من حديد يمسك بهما مسمار أو برشامة معدنية من الوسط تسمح لفكي المقص بحركة حرة به مقبضان من الأسفل يدخل فيهما إصبعا الإبهام والسبابة وتحرك إلى الخارج والداخل، ويستخدمه البدو في جز صوف أو شعر حيواناتهم (شكل ٥ أ) .





(أنواع من الجليم)





(أنواع من الجليم)

مجموعة الدكتور عبد الله العمير

٥ ـ ٢ المطرق:

أداة التنظيف الأساسية هي المطرق، وقد عرفت بهذا الاسم في جميع مناطق المملكة وهي عبارة عن عصا لينة قابلة للثني طولها حوالي المتر، أحد أطرافها غليظ يمسك به، أما الطرف الآخر فلين طري. ويحصل البدو عليه من أغصان الأشجار المتوفرة في المنطقة كشجر الطّلح والسِّدر والخيزران. ويستخدم لطرق المادة الخام حتى تتداخل الشعيرات مع بعضها، وله استخدامات أخرى عند البدو. وقد كان العرب قديما ينشرون المادة الخام وتضرب بعصا أو آلة خاصة على نحو ما يفعله نَدّاف القطن في الوقت الحاضر، لتجعل المادة الخام سهلة للغزل [٧٠] (شكل ٥، ب).

٥ ـ ٣ الكرداش:

أما أداة النفش فهي الكرداش وهو قطعتان مربعتان من الخشب، لكل واحدة منها مقبض لليد يشبه مضرب التنس، وفي سطح كل منهما مجموعة من المسامير. وظيفة هذه الأداة ترتيب الشعيرات في اتجاه متواز، وقديماً كانت تنفذ هذه العملية بالأصابع. وتعرف هذه الأداة بأسماء متعددة في مناطق المملكة، وقد تعرف بأكثر من اسم في المنطقة الواحدة، فمثلاً يعرف بالمنفاش في المنطقة الشمالية، والكرداش والمكداش في المنطقة الوسطى، وفي المنطقة الشرقية بالبشتكة، ويرجع ذلك إلى اختلاف وترامي أطراف المملكة وتعارف الناس على الأسماء المحلية وتباين المصطلحات حسب المناطق. (شكل ٥، ج).

---

(٧٠) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٧، ص٥٩٦.